
روايات
مصرية
للجيب
٥٧
إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
الملف السرّى
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ـ مغامرة فى (سورية) ..

كمن (ممدوح) فوق الربوة العالية ، المطلة على الشاليه الخشبى ، القابع فى بطن الجبل ، وهو يراقبه من كل الجهات ، بوساطة منظاره ، متفحصًا المنطقة المحيطة به ..

كان الشاليه مظلمًا تمامًا ، وقد أسدلت الستائر على بعض نوافذه ، فى حين كانت هناك نوافذ أخرى دون ستائر ، وإن كان الظلام الذى يلف المكان حائلًا ، بينه وبين تبين ما بداخل الحجرات ..

كانت المعلومات ، التى وصلت إلى (ممدوح) ، والتى تطوّعت بها تلك المرأة ، التى سعت لمقابلته بالفندق ليلة أمس ، تؤكد أنه سيعثر على الرجل المنشود ، فى ذلك الشاليه المختفى فى أعماق الجبل .

وكان (ممدوح) قد وصل إلى (سورية) منذ عدة أيام ، بحثًا عن الإرهابى التركى (فاخر جونار) ، الذى ارتكب عددًا من الجرائم الإرهابية فى (مصر) ثم تمكّن من الهرب . متنكرًا عبر الحدود ، قبل أن تتمكن الشرطة المصرية من إلقاء القبض عليه؛ وعندما وصلت معلومات تشير إلى وجوده فى (سورية) ، صدرت الأوامر إلى (ممدوح) بالسفر إلى دمشق ، والتعاون مع السلطات السورية ، لإلقاء القبض عليه ..

ووصل البحث والتحرى إلى طريق مسدود ، إذ لم يتمكّن (ممدوح) ومعه ضابط البحث الجنائى السورى ، من التوصُّل إلى أية معلومات ، تفيد فى إلقاء القبض على الإرهابى التركى ، أو تشير إلى الوكر الذى اختفى فيه .

وانتهت التحريات إلى أن (فاخر جونار) قد غادر الأراضى السورية ، أو أنه ربما لم يدخلها منذ البداية .

ولكن (ممدوح) رفض التسليم بهذه النتيجة ، وقرّر أن يواصل مهمته بصفة غير رسمية ، وقد دلته حاسته السادسة إلى أن الإرهابى التركى موجود فى (سورية) ، وأن عليه أن يبحث عنه ، ويلقى القبض عليه بنفسه ، مهما كانت المخاطر ..

وبالفعل ، قادته تحرياته إلى وجود (فاخر جونار) ، فى إحدى المناطق الجبلية السورية ، فسافر إلى هناك ، ونزل بأحد الفنادق ، ولم يعد متبقيًا أمامه سوى أن يعثر على الوكر ، الذى يختفى فيه ذلك الإرهابى ، بين تلك الجبال المترامية الأطراف ، التى يطل عليها فندقه ..

وعندما اتصلت به تلك السيّدة ، وطلبت مقابلته فى الفندق ، لتدلى إليه ببعض المعلومات ، التى تؤكد له وجود (فاخر جونار) ، فى ذلك الشاليه الخشبى ، المختفى فى باطن الجبل ، ثم اختفت من أمامه فجأة ، وهى تلح عليه ألا يسألها أية أسئلة أخرى ، أو يحاول التحرى عن شخصيتها ..

كان مدركًا أن الأمر لا يخلو من شرك ، أعد له بعناية وحذق ؛ لذا فقد ذهب مبكرًا عن الموعد الذى حددته له السيدة ، للقبض على (جونار) ، وأخذ يراقب الشاليه بحرص وعناية ، حتى انقضى ذلك الموعد ، دون أن يلمح أية حركة أو أثر لوجود أحد فى الشاليه ؛ فشعر (ممدوح) بالملل يتسرَّب إلى نفسه ، من طول المراقبة ، وقرّر أن يتسلّل إلى الشاليه بحذر ، وقد تأهب لوجود مفاجآت فى انتظاره ، ودار حول الشاليه فى خُطًا حذرة متلصّصة ، ثم اقترب من الباب ليطرقه بضع طرقات قليلة ، ويده الأخرى مستقرة فوق المسدس ، الذى يختفى فى الجراب الملتف حول إبطه .

ولما لم يتلق أى رد على طرقاته ، قام باستخدام آلة خاصة معه ، فى فتح الباب ، الذى لم يجد أية صعوبة فى فتحه ..

ودفع (ممدوح) الباب أمامه ، دون أن يدلف إلى الداخل مباشرة ، وعيناه تحدقان فى الظلام ، الذى يشمل المكان لبرهة من الوقت ، ثم لم يلبث أن استخدم مصباحه فى التسلّل إلى الداخل ، وهو مايزال محتفظًا بيقظته وتأهبه .

وبعد عدة دورات داخل الشاليه ، تبيّن له أنه مهجور تمامًا ، ويخلو من ساكنيه ..

كان من الواضح أنه كان مأهولًا بالسكان منذ فترة قصيرة ؛ فقد كانت هناك بقايا لطعام فى المطبخ ، كما أن الثلاجة كانت عامرة بالمأكولات ، ولمح (ممدوح) خزانة حديدية داخل

إحدى الغرف ، وقد وضعت بجوار مكتب معدنى ، ملاصقة لجدار الغرفة ، فاقترب منها على ضوء مصباحه اليدوى ، وهم بفتحها ، ولكن سرعان ماتراجع عن المحاولة ، إذ أن الخزانة كانت شبه مفتوحة ، وكان بابها مواربًا قليلًا ، وكأنها تدعو أى دخيل لفتحها دون عناء ، فأخرج جهازًا إلكترونيًا صغيرًا من جيبه ، وقام بتمريره على الباب المعدنى للخزانة من الخارج ، وهو يرهف السمع ..

وفجأة تعالى أزيز عال ، من الجهاز الإليكترونى ، فقال لنفسه :

ـ كما توقعت .. إنه شرك خداعى .. بمجرّد فتح باب الخزانة ، تنفجر القنبلة المعدّة بالداخل ، فى وجهى مباشرة ، وتحوّلنى إلى أشلاء متناثرة .

وتأهب (ممدوح) لمغادرة الشاليه ، بعد أن تبيّن له صدق حدسه ، وأن الأمر لم يكن سوى خدعة ، تهدف إلى القضاء عليه ؛ ولكنه مع ذلك كان مسرورًا بهذه النتيجة ، فمحاولة التخلص منه ، على هذا النحو ، تعنى أن شكوكه كانت فى محلها ، وأن الإرهابى (فاخر جونار) موجود بالفعل ، فى هذه المنطقة ، وهو يشعر بخطره عليه ، وبأنه أصبح يهدده ، مما دعاه إلى تدبير هذا الشرك للتخلص منه ، وهذا يعنى أنه قد أصبح قريبًا جدًا منه ، ولكن عليه منذ الآن أن يكون حذرًا متأهبًا ، للعديد من المخاطر ، فهو يتعامل مع عدو يعرف

تحركاته جيدًا ، دون أن تكون لدى (ممدوح) معرفة كافية بتحركاته .. وخطواته .

وفجأة ، وبينما كان (ممدوح) يتأهّب لمغادرة المكان ، سمع هدير باب الشاليه ، مما جعله ينتبه إلى أن شخصًا ما قد فتحه ، وتسلّل إلى المكان ..

وعلى الفور أطفأ (ممدوح) مصباحه ، وجثا على ركبتيه كالفهد المتحفز ، محاولًا الاعتماد على بصره الحاد ، فى استكشاف خيال ذلك المتسلل ، وحبس (ممدوح) أنفاسه ، وهو يرهف السمع ، وقد استجمع كل حواسه ، لتنحصر فى سمعه وبصره .

وفى اللحظة المناسبة دفع مرفقه بقوة ، فى صدر الشبح الواقف خلفه تمامًا ، وأضاء نور الحجرة فجأة ، ليتبين له أنه يواجه غريمين بدلًا من واحد ، وبينما كان أحدهما يضع يديه على صدره متألمًا ، من قوة الضربة التى وجهها إليه بمرفقه ، كان الآخر يتأهّب لإطلاق رصاص مسدسه نحوه ، فوجده (ممدوح) أجدر بالمواجهة السريعة ..

وبسرعة تناول أحد المقاعد ، ليقذفه فى اتجاه الرجل المسلّح ، واصطدم المقعد بوجه وذراع الرجل ، وطاشت رصاصته ، مما أتاح الفرصة لـ (ممدوح) لكى يخرج مسدسه ، ليطلق منه رصاصة أطاحت بمسدس غريمه ، ولكن الرجل الآخر ، الذى تلقى ضربة (ممدوح) فى صدره ، كان قد تغلّب

على شعوره بالألم ، فهاجمه من الخلف ، ليلف ساعده حول عنقه ، وهو يقبض على رسغ (ممدوح) ، رافعًا يده القابضة على المسدس إلى أعلى ، فاندفع زميله نحو (ممدوح) ، وملامح وجهه تنطق بالقسوة والغضب ، ليسدّد له لكمة قوية فى أمعائه ، أتبعها بأخرى أشد قوة ، ثم عاجله بلكمة ثالثة فى فكه ، جعلت الدماء تسيل من فمه ..

وترنّح (ممدوح) من شدة اللكمات التى تلقاها ، مما أتاح لغريمه أن يستخلص المسدس من يده ، ليدفع فوهته لتلتصق بعنق (ممدوح) ، قائلًا :

ـ سأجعلك تندم على اللحظة ، التى قادتك فيها قدماك إلى هنا .

ـ ولكن صوتًا آخر جعله يتوقف عن إطلاق الرصاص ، وهو يقول :

ـ انتظر يا (رءول) .

وتقدّم صاحب الصوت بخطوات متئدة ، من الباب الخلفى للحجرة ، ليدنو من (ممدوح) ، الذى عرف فيه (فاخر جونار) ، الإرهابى التركى ..

كان الرجل متوسّط القامة ، عريض المنكبين ، كث الشارب ، تبدو على وجهه ملامح لقاتل محترف ، فسمات القسوة كانت واضحة فى ملامحه ، مختلطة بشىء من البرود ، لرجل يعرف كيف يقتل الآخرين ، دون أن ينتابه أدنى شعور بالشفقة ، أو عذاب الضمير ..

ووقف الرجل قبالة (ممدوح) ، قائلًا بصوت لا يقل برودة عن ملامح وجهه :

ـ والآن هأنتذا تقف وجهًا لوجه أمام (فاخر جونار) .. أعتقد أنك تستحق أن تحظى بهذا اللقاء ، وإن كان اللقاء الأخير بيننا ؛ إذ إنه لامناص من القضاء عليك ، على الرغم من أننى لاأخفى إعجابى بك ، فأنت تبدو أكثر ذكاء وإصرارًا من الآخرين .

لقد عجز الكثيرون عن الوصول إلىّ ، ويئس الكثيرون أيضًا من قدرتهم على القبض علىّ ..

لابد أنك تعرف أن (فاخر جونار) حيّر العديد من أجهزة الأمن والمخابرات ، فى معظم دول العالم ، وأعجزهم عن القبض عليه ، وهذا هو شأن المكتب (١٩) أيضًا ، إلا أن ما أدهشنى هو إصرارك على مواصلة مهمتك ، على الرغم من انتهائها بصفة رسمية .

قال (ممدوح) فى صلابة :

ـ لقد أزهقت الكثير من الأرواح ، وقتلت العديد من الأبرياء فى بلادى ، وفى بلدان أخرى ، وأنا أعتبر أن كل هؤلاء قد كلفونى مسئولية الانتقام لهم منك ، ووضع نهاية رادعة لشرورك وآثامك ، ولكل ما ارتكبته من جرائم دامية ، دفع ثمنها المئات من الضحايا ، ولن تنتهى مهمتى إلا بوضع هذه النهاية .. نهايتك حيًا أو ميتًا .

أطلق (جونار) ضحكة مجلجلة .. ثم صفق قائلًا بابتسامة ساخرة :

- لاأدرى إذا ماكنت تستحق الإعجاب أم السخرية ، فأنت تتمسك بدور البطل ، حتى فى تلك اللحظات الحرجة ، التى تجد نفسك فيها محاطًا بثلاثة من الخصوم ، ومسدس مصوَّب إلى وجهك ، لكن من العجيب أن تتحدث عن نهايتى ، التى تقول إنها ستكون على يديك ، فى حين تقترب من أجلك المحتوم .

على كل ، إذا كنت تبغى الحصول على بعض التصفيق ، فهاأنتذا قد حصلت عليه .. والآن يتعين عليك أن تستعد للخاتمة .. لقد دفعتنى لتغيير النهاية ، فقد وضعتها على أساس أن تفتح تلك الخزانة فتنفجر القنبلة المعدة إليكترونيًا ، وينتهى الأمر إلى أجزاء متناثرة منك ، يصعب جمعها ، ولكنك كنت ذكيًا ، بحيث لم تنخدع بالشرك الذى أعددته لك ؛ لذا فليس أمامى سوى العودة إلى النهاية التقليدية .. رصاصة فى الرأس ، وينتهى الأمر .

والتفت إلى الرجل المسلَّح ، قائلًا :

- حسنًا يا (رءول) .. إنه لك الآن ، ويمكنك أن تقضى عليه .

وانفرجت أسارير الرجل لأوَّل مرة ، منذ حديث (جونار) مع (ممدوح) ، فقد ظل متجهمًا طوال الحديث ، بعد أن حال (جونار) بينه وبين قتل (ممدوح) ، وكان يرى فيه مضيعة

للوقت لاجدوى منها ؛ لذا فما أن سمح له رئيسه بإطلاق الرصاص على (ممدوح) ، حتى تقدَّم منه متحمسًا ، وهو يصوِّب مسدسه نحو رأسه ، من مسافة قريبة ، محتفظًا بتلك الابتسامة المتشفية على شفتيه .

ولكن (ممدوح) لم يكن بالشخص الذى يستسلم لنهاية كهذه ، بمثل هذه السهولة ، إذ سرعان مااستجمع قوته وحواسه ، ليسدد ركلة قوية إلى ذراع غريمه ، أطاحت بالمسدس من يده ، ثم قبض بيده اليسرى كالطوق الحديدى على ذراع الرجل الآخر ، الذى يقف خلفه ، ويشل حركته ليجذبه بقوة فى مواجهته ، مسددًا له لكمة قوية فى فكه ، جعلته يرتج قليلًا ، ولكنه لم يتخل عن ذراع (ممدوح) ، فقد ظل متشبثًا بها ، وقد زاد من ضغطه عليها ، وهو يلويها بقوة ، ليحول بينه وبين تكرار محاولة التخلص منه ..

وأحس (ممدوح) بألم شديد ، وقد ازداد الضغط على ذراعه ، ولكنه استنفر عزيمته ، وتشبَّث بالمقاومة ، خاصة وهو يعلم أن الاستسلام يعنى نهايته المحتومة ، فقاوم ضغط الرجل على ذراعه ، وحوَّل يده اليسرى إلى أعلى خلف ظهره ، ليطبق بها على عنق خصمه من الخلف ، وازداد الصراع والمقاومة بين الرجلين ، حتى نجح (ممدوح) فى النهاية فى الانحناء إلى أسفل ، ويده على عنق خصمه ، ليلقى به من فوق كتفه على الأرض ، متخلصًا منه .

وفى هذه اللحظة ، فوجئ (ممدوح) بالرجل الآخر يقفز فى الهواء ، مسددًا له ركلة قوية بطريقة فنية ، من تلك التى يجيدها لاعبو (الكاراتيه) و (الكونغ فو) ، وتصدى (ممدوح) ، الذى كان بدوره خبيرًا بذلك النوع من أنواع القتال ، للركلة الموجَّهة إلى وجهه بساعده ، فقلَّل من قوتها .

ولم يكد الرجل يهبط على الأرض مرتكزًا بإحدى قدميه وساقه الأخرى معلَّقة فى الهواء ، حتى فوجئ بركلة أشد قوة من قدم (ممدوح) ، استقبله بها فى وجهه ، فترنَّح على أثرها إلى الوراء ، وقبل أن يسترد توازنه ، كان (ممدوح) قد فاجأه بلكمة كالمطرقة ، صوَّبها إلى فكه ، فاختل توازنه تمامًا ، وكاد يهوى على الأرض فاقدًا الرشد ، ولكن (ممدوح) سارع بالإمساك به من ياقة سترته وذراعه ، قبل أن يسقط فى غيبوبة ، ليدفع به فى قوة نحو الرجل الآخر ، الذى كان قد نهض من سقطته ، وتأهَّب لطعن (ممدوح) بخنجر ، أخرجه من رباط ملتف حول ساقه ، وجاءت الدفعة من القوة ، بحيث أطاحت بالرجلين ، ليصطدما بالخزانة الحديدية ، بالقرب من الجدار ، فارتطمت رأس أحدهما بالخزانة الحديدية ، فهوى على الأرض غائبًا عن الوعى ، فى حين تعثر الآخر فى الرجل الذى سقط فوقه ، فتعلق بمقبض الباب ، الذى يفتح الخزانة الحديدية ، محاولاً مساعدة نفسه على النهوض .

ونظر (ممدوح) إلى الرجل فى فزع ، وقد أدرك ما سوف يترتب على تعلُّق الرجل بمقبض الباب على هذا النحو ، إذ

لابد أن باب الخزانة سينفتح ، وفى هذه الحالة ستنفجر القنبلة ، لتدمر الغرفة تمامًا ، ولم يكن هناك وقت للتحذير ، إذ أن الرجل بدا مترنحًا ، وهو شبه غائب عن الوعى ، فى أثناء محاولته النهوض متعلقًا بمقبض الباب ، فى حين كان (جونار) ، الذى استشاط غضبًا لما رآه من مقاومة (ممدوح) قد أخرج مسدسه ، واستعد لتنفيذ حكم الإعدام ، الذى أصدره بنفسه ..

وأصبح الخطر محيقًا بـ(ممدوح) من الجهتين ؛ لذا فلم يتردَّد (ممدوح) ثانية واحدة فى معالجة الموقف بطريقة انتحارية ، إذ وثب نحو (جونار) ، فى اللحظة التى كان يصوب فيها مسدسه فى اتجاهه ، ليحتضنه مرتطمًا به فى زجاج النافذة الخلفية ، التى كان يقف أمامها مباشرة ، ليقفز به فوق الأرض الفضاء المحيطة بالشاليه ؛ محطمًا زجاج النافذة ، الذى تحوَّل إلى شظايا صغيرة ، تناثر بعضها حولهما .

وفى اللحظة التى استقرا فيها على الأرض ، دوى فى المكان صوت انفجار قوى ، صادر من الشاليه ، الذى تطايرت بعض أجزائه فى الهواء ، وبالتحديد من الغرفة التى قفز منها (ممدوح) و (جونار) .

وقبل أن يفيق (جونار) من ذهوله ، كان (ممدوح) قد انتزع من يده المسدس ، واضعًا القيد الحديدى حول رسغ

وقبل أن يفيق (جونار) من ذهوله ، كان (ممدوح) قد انتزع من يده المسدس ..

غريمه ، ثم ساعده على النهوض ، وهو يضع الحلقة المعدنية الأخرى من القيد حول رسغه أيضًا ، محتفظًا بالمسدس فى اليد الأخرى .

ونظر إلى (جونار) قائلًا :

ـ والآن ما رأيك فى هذه النهاية السعيدة ؟

ابتسم (جونار) فى مرارة ، قائلًا وهو يرمق (ممدوح) :

ـ أعترف أنها خالفت كل توقعاتى .

ممدوح :

ـ حسنًا .. احتفظ ببقية اعترافاتك لأجهزة التحقيق ، فأنا أعتقد أنها متلهفة للسماع منك ، وبعدها ستقدم للمحاكمة ، لكى تنال القصاص العادل .

واصطحب (ممدوح) (جونار) معه ، مبتعدًا عن الشاليه ، الذى ظلت ألسنة اللهب تتصاعد منه إثر الانفجار ، معلنًا بذلك انتهاء مهمة أخرى ، من المهام المستحيلة ، التى تنفذها إدارة العمليات الخاصة ..

والمكتب رقم (١٩) .



٢ ـ شبكة التجسس ..

استقبل اللواء (مراد) (ممدوح) بحجرته ، بالدور الرابع من مبنى إدارة العمليات الخاصة ، وقد اصطنع على وجهه ملامح التجهم ، ولم يدع (ممدوح) إلى الجلوس كعادته ، بل نظر إليه فى صرامة ، قائلًا :

ـ لا أدرى هل أعنفك أم أهنئك ، فقد خالفت الأوامر الصادرة إليك ، ووضعتنى فى موقف حرج ، إذ كان يتعين عليك أن تعود فورًا من (دمشق) ، بمجرد صدور الأمر إليك بالعودة ، وإنهاء المهمة ، ومع ذلك فقد أحرزت نصرًا حقيقيًا ، نتيجة هذه المخالفة ، وتمكنت من إلقاء القبض على الإرهابى الخطير (فاخر جونار) ..

إن مخالفة الأوامر ، أيًا كانت ، بالنسبة لمن يعملون فى مهنتنا ، أمر يستحق الجزاء ، بل والجزاء الرادع ..

ثم صمت برهة ، وهو يضع أصابعه تحت ذقنه ، كما لو كان يفكر قائلًا :

ـ ولكن النجاح الذى حققته أيضًا أمر غير عادى ، ويستحق الإشادة .

وعاد للنظر إليه قائلًا :

ـ قل لى .. كيف أحل هذه المشكلة ؟.. لو أعلنت صفحى عن

مخالفتك للأوامر ، فقد يشجع هذا عددًا من الضباط الآخرين ، الذين يعملون فى الإدارة ، على مخالفة الأوامر فى المستقبل ، ولو وقعت عليك جزاء فإننى بهذا أكون قد قابلت بطولتك ونجاحك ، فى إلقاء القبض على هذا الإرهابى الخطير ، الذى عجزت عشرات من أجهزة الأمن الدولية عن القبض عليه ، بالإساءة وعدم التقدير .

قال (ممدوح) :

ـ أنا تحت أمرك يا أفندم ، وسأتقبل أى قرار تصدره بصدر رحب .

قال اللواء (مراد) بضيق :

ـ إننى لا أحدثك الآن بشأن الأوامر ، إننى أدعوك للتفكير معى .

هز (ممدوح) كتفيه ، قائلًا :

ـ يمكنك أن تقول إننى كنت فى إجازة ، وفى أثناء إجازتى قمت بهذه المغامرة ، بصورة غير رسمية ، وبصفة شخصية ، فهل يجازى المواطن العادى ، لو أنه تطوع لخدمة السلطات ، وألقى القبض على مجرم هارب من العدالة ؟!.. أعتقد أنه يكافأ فى هذه الحالة .. أليس كذلك ؟

ولأول مرة ، تخلى اللواء (مراد) عن تجهمه المصطنع ، ورسم ابتسامة على وجهه قائلًا :

ـ اعتقد أنه مبرر مقبول ، ولو أنه غير كاف ، ففى الواقع

ليس هناك فارق كبير بين حياة رجل الأمن المحترف ، الرسمية والشخصية ، كما أعتقد أنه لامناص من تهنئتك على ما حققته من نتائج ، فى هذه المغامرة .

ثم أشار إليه بالجلوس مستطردًا :

ـ خاصة وأن أمامى عملية جديدة بحاجة إلى جهودك .

ممدوح :

ـ تحت أمرك يا أفندم .

اللواء (مراد) :

ـ لقد سافرت إلى (أسترتان) من قبل .. أليس كذلك ؟

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ فى الواقع لقد اختطفت إلى (أسترتان) ، لو شئتنا دقة التعبير (*) .

اللواء (مراد) :

ـ هذه المرة ستعود إليها طواعية .

ممدوح :

ـ هل سأذهب إلى (أسترتان) ؟

اللواء (مراد) :

(*) ملحوظة : اقرأ العدد (٢١) ، من سلسلة المكتب رقم (١٩) ، (العملية الكبرى) ، وهى إحدى المغامرات ، التى قام بها (ممدوح) فى (أسترتان) .

ـ نعم ، فقد كنت فى اجتماع أمس مع مدير المخابرات العامة المصرية ، واتفقنا على ضرورة وجودك هناك ، فى مهمة سرية ودقيقة .

ممدوح :

ـ ولكننى معروف جيدًا ، فى أروقة المخابرات الأسترتانية ، وأحظى بشهرة لا بأس بها ، بين العاملين فى هذا الجهاز ، من أصغر رتبة إلى مدير المخابرات الأسترتانية نفسه .

اللواء (مراد) :

ـ لذا فستذهب متنكرًا ، للقيام بمهمتك ، وسنسلمك إلى إخصائى فى هذا الشأن ، قبل سفرك إلى هناك .

ممدوح :

ـ وما المهمة التى سأكلف إياها ؟

اللواء (مراد) :

ـ خلال الفترة الأخيرة ، تم تجنيد عدد من العملاء الأجانب والمصريين فى الخارج للقيام ببعض أعمال التجسس ضد (مصر) ، ولصالح (أسترتان) ، كما تم اختراق بعض أنشطتنا السرية فى (أوربا) لحساب المخابرات الأسترتانية أيضًا ، مما يعنى تفوقًا ساحقًا للمخابرات الأسترتانية ، على نحو أصبح يهدد أمننا القومى ، ويعرض المصالح العليا للدولة للخطر ، وقد أدت التحريات التى أجرتها المخابرات المصرية

فى هذا الشأن ، إلى وجود شبكة تجسس ، على مستوى عال من التنظيم والدقة ، تعمل بصورة سرية لصالح (أسترتان) ، وأثبتت التحريات أن هذه الشبكة المنظمة ، التى تدار بوساطة مسئول على مستوى كبير ، فى المخابرات الأسترتانية ، والتى تضم عشرات من العملاء السريين ، هى التى تقوم بكل النشاط الرئيسى ، الموجه ضد الأمن القومى المصرى ، وتقف وراء كل عمليات التجسس ، التى كُشف بعضها ، والذى مازال البعض منها مجهولاً .

وقد قامت المخابرات المصرية بإيفاد أحد عملائها إلى (أوربا) منذ عشرة أيام ، للتحرى حول نشاط هذه الشبكة ، ومحاولة كشف بعض أسماء عملائها ، ولكنه وُجد مقتولاً فى شقته ، بعد أربعة أيام فقط من وصوله إلى (روما) .

وكنوع من التحدى السافر ، وجدنا بطاقة تعزية فى الصندوق الذى نقل جثته إلى (القاهرة) ، باسم (أريل شون) ، نائب مدير المخابرات الأسترتانية ، لكن مهمة العميل المصرى لم تذهب هباءً على كل حال ، فقبل موته قام بالاتصال بالمخابرات المصرية بوسيلة سرية ، وأخبرهم بأن أسماء جميع العملاء التابعين لشبكة التجسس الأسترتانية ، ومواقع عملهم فى (أوربا) و (مصر) ، يحويها ملف سرى من نسختين ، الأولى فى إدارة المخابرات الأسترتانية ، والثانية فى مكان مجهول لانعرفه ، داخل (أسترتان) ، وتابع أيضا

لجهاز مخابراتهم ، ولاتوجد نسخة ثالثة لهذا الملف ، سواء فى (أوربا) أو (أسترتان) ، ولاحتى لدى رئيس الشبكة نفسه ، والذى يتلقى أوامره مباشرة من (أسترتان) .

ولقد انقسمت الآراء ، داخل المخابرات المصرية ، إلى اتجاهين :

الأول : يدعو إلى ضرورة السعى وراء رئيس شبكة التجسس فى (أوربا) ، ثم اختطافه وإجباره على الاعتراف باسم أعضاء هذه الشبكة ، للقضاء على نشاطها .

والثانى : يرى ضرورة الحصول على هذا الملف السرى ، الموجود فى (أسترتان) ، لأنه بالحصول عليه يمكن ضرب نشاط هذه الشبكة ، وكل أعضائها فى الصميم ..

وقد تغلب الاتجاه الأول فى البداية ، نظرًا لصعوبة الحصول على هذا الملف ، من داخل جهاز المخابرات الاسترتانية ، ولعدم إضاعة الوقت فى البحث عن ذلك المكان المجهول ، الذى تحتفظ فيه المخابرات الأسترتانية بالنسخة الثانية ، وتم تكليف عميل المخابرات المصرية فى (روما) بالسعى وراء الكشف عن رئيس الشبكة فى (أوربا) ، ولكنهم لم يمهلوه ، إذ سرعان ما انكشفت مهمته ، وتم التخلص منه ، بوساطة العملاء الأسترتانيين ، وفشلت المهمة ، وعندما ناقشنى مدير المخابرات المصرية فى الأمر ، أخبرته أننى أحبذ الاتجاه الثانى ، وهو الحصول على الملف السرى ، أو على الأقل

تصويره ، لأن القبض على رئيس الشبكة أو اختطافه ، لابد أنه سينبه الآخرين ، ويجعلهم يتخذون احتياطاتهم سريعًا ، فضلًا عن أنه ما دامت الأوامر تصدر رأسًا من (أسترتان) إلى أعضاء شبكة التجسس ، فهناك احتمال لأن يكون هناك أكثر من مسئول عن نشاط شبكة التجسس هذه ، ولكل مسئول قطاع يختص به ، وعدد من العملاء التابعين له في الخارج ، دون أن تخضع الشبكة كلها لرئيس واحد ، ودون أن يعلم كل مسئول عن نشاط زميله ، ويجهل أسماء العملاء التابعين له ، وهذا هو الاحتمال المرجح ، بدليل أن أسماء عملاء الشبكة لايتضمنهم سوى نسختين من ملف واحد فقط ، حسب المعلومات الواردة ، وهذا يعنى أن المخابرات الأسترتانية حريصة على ألا يوجد من يعرف أسماء هؤلاء العملاء ، وطبيعة نشاط كل منهم ، سوى أعضاء محدودين فقط داخل المخابرات الأسترتانية ، وأن تصدر الأوامر الخاصة بعمل كل مسئول داخل هذه الشبكة ، عن طريق رئيس المخابرات الأسترتانية فقط ، وربما اثنين أو ثلاثة من نائبيه ، مثل (أريل شون) ، أى أن دور المخابرات الأسترتانية هنا هو القيام بعملية التنسيق بين الأعضاء المسئولين عن نشاط شبكة التجسس الأسترتانية فى (أوربا) ، وبالتالى فالقبض على مسئول أو أكثر ممن يتولون القيادة فى هذه الشبكة لن يفيد ؛ لأن كلًا منهم يجهل حقيقة دور الآخر ونشاط عملائه أما الملف السرى ، فإنه سيضمن كشف أمرهم كلهم مرة واحدة ، وتوجيه ضربة واحدة أيضًا إلى نشاط هذه الشبكة .

ولقد اقتنع مدير المخابرات المصرية بالرأى ، الذى انتهيت إليه ، ولكنه أخبرنى فى ذات الوقت بصعوبة الوصول إلى هذا الملف السرى ، داخل (أسترتان) ، وأنه ليس لديه فى الوقت الحاضر العميل المؤهل للقيام بمهمة كهذه ، فأخبرته بأن لدى من يصلح للقيام بهذه المهمة ، واتفقنا على أن نسندها إليك .. فما رأيك ؟

ممدوح :

- إننى جاهز لأداء الواجب دائمًا .

اللواء (مراد) :

- يجب أن تعرف أن الأمر يبدو مستحيلًا بالفعل ، وأنك ستقوم بمهمة تحتاج إلى أعصاب حديدية ، وجهد غير عادى ، فأنت ذاهب إلى (أسترتان) ، حيث تضع نفسك فى فم الأسد ، ولهم تجاربهم السابقة معك ، بما يكفى لكى يضعوك على رأس قائمة الأعداء المطلوبين أحياء أو أمواتًا ، ولو تنبه أحدهم لوجودك هناك ، فلن يتردد فى أن ينسفك نسفًا ، فضلًا عن صعوبة المهمة ذاتها .. إن محاولة الحصول على هذا الملف ، من داخل خزانة المخابرات الأسترتانية ، هو المستحيل بعينه ، فبجانب الحراسة الحديدية المفروضة أصلًا على مبنى المخابرات ، فلابد أنه محاط بوسائل حراسة غير عادية ؛ لذا فسوف نستبعد محاولة الحصول على الملف من داخل الجهاز ، ويتبقى أمامنا البحث عن تلك المكان المجهول ، الذى تم إيداع

النسخة الثانية من الملف السرى فيه ، وهذا أيضا أمر بالغ الصعوبة ، إذ يتعين عليك تحديد هذا المكان أولا ، ثم التفكير فى وسيلة تنفذ بها إليه ، للحصول على صورة من الملف ، ولابد أن هذا المكان أيضا محاط بحراسة غير عادية ، ولكن لابد لك فى النهاية من اختراق هذا المكان ، وتصوير الملف السرى ؛ وأنا أفضل تصوير الملف ، بدلًا من سرقته ، لأننى أرجو ألايتنبه أحدهم بقدر ماتستطيع إلى حوصلنا على أسماء العملاء السريين ، الذين تضمهم شبكة التجسس ، حتى نستطيع مفاجأتهم بضربة سريعة حاسمة ، نقضى بها على نشاط هذه الشبكة تمامًا ، ولكن إذا لم تكن الظروف أمامك متاحة ، بما يكفى لتصوير الملف ، فلابأس من الاستيلاء عليه ، فهذا على الأقل سيجعلهم يوقفون نشاطهم ، ويسرعون بحل تنظيمات الشبكة .

وفى كل الأحوال إذا شعرت بأنك معرض للخطر ، وأنهم فى طريقهم لكشف أمرك ، فلاتتردّد فى التوقف عن متابعة تنفيذ مهمتك ، والعودة إلى (القاهرة) بأية وسيلة ، وهذه أوامر لاتحتمل المناقشة ، ولن أقبل عدم الالتزام بها ، بأى حال من الأحوال هذه المرة ، فأنا غير مستعد لاستقبال جثتك داخل صندوق ، ومعها برقية عزاء أخرى من المخابرات الأسترتانية ، فالقضاء عليك فى حد ذاته سيكون نقطة تفوق ونجاح أخرى ، تضاف إلى رصيد المخابرات الأسترتانية فى معركتهم معنا .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ اطمئن ياأفندم إننى لاأحب السفر فى صناديق مغلقة .

ولكن اللواء (مراد) قال بجدية :

ـ مهمتك غير سهلة على الإطلاق ، ولكن إذا نجحت فيها ستكون قد قدمت خدمة كبيرة للوطن ، وكشفت النقاب عن أكبر شبكة تجسس دولية ، يستخدمها الأعداء للإضرار بـ(مصر) وأمنها القومى .

قال (ممدوح) بنفس الجدية هذه المرة :

ـ وهذا مايجعلنى متحمسًا لتنفيذها ، فلايمكن أن أتوانى عن التصدى لخطر يهدد بلادى .

اللواء (مراد) :

ـ ستسافر إلى (قبرص) أولًا ، وهناك ستجد من يزوّدك بجواز سفر مزوّر باسم (جلسيوس) ، حيث ستنتحل شخصية بحار يونانى ، وستكون صورتك مطابقة للتنكّر الذى سيجرى لك ، وبعد قضاء عدة أيام فى (قبرص) ، ستسافر من هناك إلى (استرتان) ، منتحلًا شخصيتك الجديدة لتنفيذ مهمتك ، وإذا احتجت لشىء ، أوتعرضت لخطر ، يمكنك التردُّد على أحد المطاعم التى يمتلكها شخص يونانى ، فى شارع (اليسكاريه) ، ويدعى (خارتيس) .. هذا الرجل يعمل لحسابنا ، وسوف يقدم لك الخدمة المطلوبة هو وزوجته ، وكلمة السر المتعارف عليها هى «الحوت الأزرق» .. هذا

الرجل يستطيع أيضًا أن يدبر لك مسألة العودة ، إذا مانجحت فى أداء مهمتك ، ولكنه سينكر معرفته تمامًا بك ، إذا ما أحس بأنه سيتعرض لأى خطر .

ممدوح :

ـ هذا مفهوم بالطبع .

اللواء (مراد) :

ـ والآن يمكنك أن تستعد للسفر فى رعاية الله ، لتبدأ مهمتك ، وتسعى للحصول على الملف .. الملف السرى .

* * *



٣ ـ القلعة الحصينة ..

وصل (ممدوح) إلى مطار (نيقوسيا) العاصمة القبرصية ، حيث نزل بأحد الفنادق لمدة يومين ، وخلال هذين اليومين بدأت إجراءات إعداده للسفر إلى (أسترتان) ، حيث استقبله خبير فى وسائل التنكر أوفدته إدارة العمليات الخاصة إلى (نيقوسيا) ، وقام بتغيير هيئة (ممدوح) ، على نحو مخالف تمامًا لصورته الأصلية ، والحق يقال إنه كان بارعًا فى هذا الشأن .

ثم التقى بالعميل القبرصى ، الذى يعمل لحساب المخابرات العامة المصرية ، والذى زوده أيضًا بجواز سفر زائف باسم (جلسيوس) ، وأصبح (ممدوح) بحارًا يونانيًا من العاملين على سفن الشحن التجارية ، ومؤهلًا للقيام بمهمته ..

وفى اليوم الثالث لوصوله إلى (قبرص) ، استقل الطائرة المتجهة إلى (أسترتان) ، ولديه هدف واحد ومحدود ، وهو الحصول على الأسماء التى يحويها الملف السرى بأى ثمن ..

واستطاع (ممدوح) أن يجتاز دائرة الجوازات دون أدنى مشاكل ، ودون إثارة الريبة فى شخصه ، فقد بدا كل شىء معدًا بإتقان ، حتى أن ضابط الجوازات الأسترتانى لم يمعن النظر فيه طويلًا ، وأنهى إجراءات دخوله إلى (أسترتان) فى دقائق

معدودة ، ولم يكد (ممدوح) يستقر فى فندقه بالعاصمة الأسترنانية ، حتى سارع بمغادرته إلى شارع (اليسكارين) ، حيث توجه إلى مطعم (خارديس) ، طبقًا لتعليمات اللواء (مراد) ، وأدهشه أن المطعم كان كبيرًا وفخمًا للغاية ، ويحتل ناصيتين من أحد الشوارع الهامة فى العاصمة ، كما أن زبائنه كانوا من ذلك النوع رفيع المستوى ، ومن ذوى الشخصيات الهامة .

واستقبل (المترودنتيل) (ممدوح) بشيء من التعالى ، قائلًا :

- عفوًا ياسيِّدى .. هل حجزت مائدة قبل حضورك ؟

أجابه (ممدوح) ، وهو ينقل بصره فى أرجاء المطعم الأنيق :

- فى الواقع كلّا .. ولكن ..

قاطعه (المترودنتيل) سريعًا ، قائلًا :

- آسف ياسيِّدى .. الزبائن لدينا هنا يحجزون موائدهم مقدمًا .

قال (ممدوح) :

- إننى لم آت لتناول الطعام ، ولكن لمقابلة صاحب المطعم مسيو (خارديس) .

تأمّله الرجل قليلًا بشيء من الفضول ، قبل أن يشير إلى أحد العاملين فى المطعم ، قائلًا :

- اصحب السيد إلى غرفة مسيو (خارديس) .

سار (ممدوح) وراء الرجل ، الذى اجتاز به قاعة المطعم ، ثم دلفا من خلال أحد الأبواب إلى ردهة طويلة ممتدة ، حتى وصلا إلى حجرة مغلقة فى نهايتها ، واستوقفه الرجل قائلًا :

- لحظة واحدة ، حتى أعطى مسيو (خارديس) خبرًا بحضورك .

هز (ممدوح) رأسه مبتسمًا ، فقد بدا له الأمر وكأنه سيلتقى بشخصية سياسية هامة ، وليس بصاحب مطعم ، على الرغم من فخامته .

وبعد قليل فتح الباب ، حيث طلب منه العامل الدخول .

دخل (ممدوح) إلى الحجرة ، ليجد رجلًا بدينًا مكتنزًا ، له شارب ضخم ، يجلس وراء مكتب بيضاوى كبير ، وفى يده سيجار يدخّن منه بشراهة ، وألقى الرجل نظرة متمعنة على (ممدوح) دون أن ينهض لمصافحته ، وقال :

- هل من خدمة أقدمها لك ؟

تلّفت (ممدوح) فى أرجاء الغرفة حوله ، حتى يتأكد من خلوها من أى شخص آخر ، ثم اقترب من مكتب الرجل مرددًا كلمة السر المتعارف عليها :

- جئتك بشأن « الحوت الأزرق » .

تبدَّلت ملامح الرجل ، فنهض من فوره لمصافحة (ممدوح) بكل ترحاب قائلًا :



تلفت (ممدوح) فى أرجاء الغرفة حوله ، حتى يتأكد من خلوها من أى شخص آخر ..

ـ أهلًا .. أهلًا .. تفضل .

ودعاه إلى الجلوس ، ثم ضغط على زر أمام مكتبه ، حيث دخل إليه أحد الأشخاص ، فبادره قائلًا :

ـ لاتدع أحدًا يدخل الآن ، فأنا مشغول بأمر هام .

أحنى الرجل رأسه قائلًا :

ـ أمرك ياسيدى .

ولكى يزداد الرجل تأكدًا من عدم دخول أحد إلى غرفته ، أثناء اجتماعه مع (ممدوح) ، نهض بعد انصراف سكرتيره ؛ ليحكم إغلاق الغرفة ، وعاد يجلس أمام (ممدوح) ، وعلى وجهه ابتسامة كبيرة ، هامسًا :

ـ لقد أخبرونى بأمر حضورك إلى (أسترتان) ، ولكن لم أتصور أنك ستأتى سريعًا على هذا النحو .

ممدوح :

ـ لقد اقتضت الظروف ذلك .

واتسعت ابتسامة الرجل ، وهو يقول :

ـ على كل (خارديس) في خدمتك .. هل صادفتك أية مشاكل فى أثناء دخولك المطار ؟

قال (ممدوح) ، وهو يعود ليدقق النظر فى أرجاء الغرفة ، بشىء من القلق :

ـ كلّا .. أأنت واثق ، أن هذه الغرفة مؤمّنة تمامًا ؟

ضحك الرجل ضحكة قصيرة ، قائلًا :

ـ هل تقصد وجود أجهزة تصنت أو ما شابه ؟.. اطمئن إننى هنا موضع ثقة تامة ، بالنسبة للمسئولين ، ولدى العديد من الصداقات مع بعضهم ، كما أننى أتولى تقديم بعض الخدمات أيضًا مما يجعلنى بعيدًا عن الشبهات .

ممدوح :

ـ هل لديك أية معلومات ، بشأن أحد المواقع السرية ، أو ذات طابع خاص ، تابعة للمخابرات الأسترتانية ؟.. أعنى أن تكون تابعة للمخابرات الأسترتانية ، ولكنها تبدو منفصلة عنها ، أو تدار بطريقة توحى بأهميتها ؟

قال (خارديس) ، وقد بدا عليه الاهتمام :

ـ إننى أفهم ماتعنى .. لقد تلقيت تعليمات بهذا الشأن منذ شهرين تقريبًا ، عن طريق المخابرات المصرية ..

هناك عدة أماكن من ذلك النوع ، الذى تتحدث عنها ، ولكن أكثرها جذبًا للاهتمام فى رأيى ، ذلك المبنى الذى يقع فى منطقة نائية ، بالبلدة المجاورة للعاصمة ..

لقد كان ذلك المبنى فيما مضى قصرًا قديمًا مهجورًا ، يمتلكه أحد الأشخاص ، الذين هاجروا من (أسترتان) منذ فترة طويلة ، ترددت حوله القصص والروايات ، باعتباره مكانًا مخيفًا ، تسكنه الأرواح والأشباح ، حتى أن البعض كان يخاف المرور فى المنطقة المجاورة .. وفجأة دبت الحياة فى هذا القصر من جديد ، وأعيد طلاؤه ، وتجهيزه بأحدث الوسائل

والمعدات ، ثم أحيط بحراسة مسلحة وقوية للغاية ، وغدا مزوَّدًا بأكثر الأساليب التكنولوجية ، لمنع أى شخص من الاقتراب منه ، وهكذا تحول القصر المهجور إلى قلعة حصينة ، وبدلًا من أن تسكنه الأرواح والأشباح ، أصبح يسكنه عدد من ضباط المخابرات الأسترتانية ، المشهود لهم بالكفاءة والخبرة ، وقد علمت بذلك ، لأننى ربما أكون الشخص الوحيد الذى يُسمح له ، ولعدد محدود من العاملين لدى ، بعبور بوابته الرئيسية .

ممدوح :

ـ وكيف يسمحون لك بذلك ؟

أجابه (خارديس) قائلًا :

ـ لقد كلفنى أحد المسئولين بإدارة المخابرات ، بتوريد كميات من الأطعمة الجاهزة إلى هذا القصر يوميًا ، نظرًا لثقتهم البالغة بشخصى ، وإن كانوا لايسمحون لى ، كما قلت لك من قبل أن أتعدى المنطقة الفاصلة بين البوابة الرئيسية للمبنى وأسواره الداخلية على الرغم من هذه الثقة ، ومن الواضح من كمية الأطعمة المطلوبة ، أنها لحوالى مائة وخمسين شخصًا تقريبًا ، بما فيهم جنود الحراسة المحيطين بالقصر .

لقد تمكنت فى إحدى المرات ، التى أشرفت فيها على نقل الأطعمة بنفسى ، من التسلل عبر أحد الأسوار ، حيث لمحت

مجموعة من الأشخاص ، يتدربون تدريبًا شاقًا ، على فنون الدفاع عن النفس ، وبعض التدريبات القتالية الأخرى .

ممدوح :

ـ ربما تكون المخابرات الأسترتانية قد اتخذت من هذا القصر مركزًا لتدريب عملائها ، كما يحدث فى جميع دول العالم .

خارديس :

ـ إننى بحكم علاقتى ببعض المسئولين فى إدارات المخابرات ، أعرف أن مركز التدريب الخاص بعملائهم ، فى مبنى خاص ملحق بالإدارة ذاتها ، وهو مكان لايقل سرية وإعدادًا عن القصر ، الذى حدثتك عنه .

ولكن ماأثار اهتمامى حقًا هو أن هؤلاء الأشخاص ، الذين رأيتهم يتدربون فى إحدى ساحات القصر ، ينتمون لجنسيات مختلفة ، فبعضهم ملامحه أوروبية ، وبعضهم آسيوى ، وهذا يعنى أن هذا المكان مركز لتدريب جواسيس ينتمون لدول أخرى ، وليسوا مجرَّد ضباط أسترتانيين ، من العاملين فى جهاز المخابرات الأسترتانى .

أصغى (ممدوح) باهتمام ، قبل أن يقول :

ـ أتقصد أن هذا المكان يعد مركزًا لتدريب العملاء الأجانب ، الذين يجندون لحساب المخابرات الأسترتانية ؟

خارديس :

ـ بالفعل .. ولقد علمت أن مدير المخابرات الأسترتانية نفسه زاره مرات .

وبدا الأمر بالفعل مثيرًا للاهتمام ، بالنسبة لـ(ممدوح) الذى قال :

ـ هل هذا هو كل مالديك من معلومات ؟

عاد (خارديس) يبتسم مرة أخرى ، قائلًا :

ـ بل إن لدى المزيد .. لقد طلبت من أحد رجالى ، الذين أثق بهم مراقبة القصر بعناية لعدة أيام متوالية ، وقد أخبرنى هذا الرجل أن هناك امرأة حسناء تغادر القصر كل ليلة ، حيث تذهب إلى أحد الملاهى الليلية ، فى بلدة مجاورة ، وفى أثرها عملاق ضخم الجثة يتولى مراقبتها ، وهى تعود إلى القصر فى ساعة متأخرة من الليل ، بصحبة هذا العملاق ، وتتخلف فى بعض الليالى الأخرى ، ولكن الرجل العملاق لايعود أبدًا دونها ، وكأنه حارسها الخاص .

لقد احتفظت لك بهذه المعلومة ، وبصورة الفتاة التى صورها عميلى خلسة ، فقد يفيدك ذلك .

تهلل وجه (ممدوح) ، قائلًا :

ـ إنها ستفيدنى بلاشك .

ونهض ليصافح (خارديس) بحرارة ، قائلًا :

ـ أشكرك للغاية .. لقد حصلت منك بالفعل على معلومات قيمة .

ضغط (خارديس) على يده ، قائلًا :

ـ أرجو أن تعمل على الافادة منها جيدًا ، وتذكّر أننى سأكون هنا فى خدمتك فى أى وقت ، فلاتتردّد فى اللجوء إلىَّ ، إذا ماتعرّضت للخطر .

قال (ممدوح) ، وهو معجب بشجاعة وإخلاص الرجل :

ـ ولكننى أعرضك هكذا للخطر أيضًا ، فلن تفلح ثقتهم المفرطة بك ، إذا ماحامت الشكوك حولك .

خارديس :

ـ ما لاتعرفه هو أننى قد عشت فى (مصر) أكثر مما عشت فى (اليونان) و (أسترتان) ، إننى أدين بالكثير لهذا البلد ، ولن أتردّد فى التضحية بحياتى ، كما تفعل أنت فى سبيلها .

غادر (ممدوح) المطعم من بابه الخلفى ، وهو يفكّر طوال الطريق فى تلك المعلومات التى حصل عليها من (خارديس) ، وأخذت بعض التساؤلات تدور فى ذهنه ، وهو يتجه إلى محطة القطار ، ليستقل القطار المتجه إلى بلدة (كافا) ، المجاورة للعاصمة (الأسترتانية) ، ومعه خريطة مفصلة لها ، ولموقع القصر الذى تتخذه المخابرات (الأسترتانية) مركزًا لتدريب عملائها الأجانب :

ـ أيمكن أن يكون عدد من عملاء شبكة التجسس ، التى تعمل لحساب هذا الجهاز ، ممن يتلقون تدريبهم فى هذا المكان السرى ، حيث يجرى إعدادهم هنا أوّلًا ، قبل إرسالهم إلى (أوروبا) ، كى يمارسوا نشاطهم ؟!

ـ إذا كان الأمر كذلك ، فهناك احتمال بوجود نسخة من الملف السرى ، الذى يحوى أسماءهم ، داخل هذا المبنى أيضًا ، على الأقل لمراجعة قوائم التدريب .

وإذا كان الأمر كذلك أيضًا ، فهذا القصر سيكون هدفه المنشود .. ولكن عليه أن يتأكّد أوّلًا ، وسبيله الوحيد إلى ذلك هى تلك المرأة الحسناء ، التى تغادر القصر كل ليلة ، فى طريقها إلى الملهى الليلى ، أما التسلّل إلى هذا القصر ، أو اقتحام هذه القلعة الحصينة ، فهذه مشكلة أخرى ، يتعين عليه حلها ، إذا ماتأكد من وجود النسخة الأخرى من الملف هناك ..

هذه هى مهمته .

* * *



٤ ـ لقـــاء عنيف ..

وصل (ممدوح) إلى مدينة (راميا) الساحلية ، المجاورة لبلدة (كافا) ، حيث يوجد الملهى الليلى ، وسار على هدى الخريطة التى يحملها ، حتى وصل إلى الملهى الليلى ، وكانت الموسيقى صاخبة بالداخل ، حيث بدا الملهى من ذلك النوع من الملاهى الرخيصة أو مما يُطلق عليه ناد ليلى من الدرجة الثانية ، وكانت هناك بعض الموائد المتناثرة حول ساحة للرقص ، انتشر بها بعض الراقصين والراقصات ، وقد اندمجوا فى ذلك النوع من الرقصات العنيفة ، التى تعتمد على استخدام كل خلجة من خلجات الجسم ، واختار (ممدوح) لنفسه إحدى الموائد ، حيث أمسك فى يده كأس الشراب التى أحضرها له الخادم ، وأخذ يراقب ما يدور حوله فى الملهى ، وبعد ثلث الساعة من جلوسه لمحها تدخل إلى الملهى ..

كانت الفتاة جميلة بالفعل ، كما أخبره (خاريس) ، بل إن كلمة جميلة لم تكن كافية للتعبير عما تحوزه هذه الفتاة من فتنة وإغراء ..

وأخرج (ممدوح) الصورة من جيبه مرة أخرى ، ليتأكد من أنها هى الفتاة المقصودة ، ولما تأكد من ذلك أعاد الصورة إلى جيبه ، وجلس يراقبها بدقة وتمعن .

اتجهت الفتاة على الفور نحو إحدى الموائد ، حيث نهض أحد الأشخاص لاستقبالها ، وقد بدا أنه ينتظرها بشوق بالغ ، وحيته الفتاة بحرارة ، وهى تنهال عليه بالقبلات ، معتذرة عن تأخيرها ، وبعد أن تناولا كأسين من الشراب ، نهضا ليرقصا فى الساحة ، مندمجين مع بقية الراقصين والراقصات الآخرين ، فى ذلك النوع من الرقص العصرى العنيف .

وتوقفت الموسيقى الصاخبة فجأة ، لتحل محلها موسيقى ناعمة هادئة ، ودعته الفتاة بنعومة ودلال لمواصلة الرقص معها ، على أنغام هذه الموسيقى ، ولكنه حاول أن يعتذر بعدم إجادته لهذا النوع من الرقص .

وهنا تدخل (ممدوح) ، وهو يقف بينهما ، وعلى وجهه ابتسامة عذبة ، وجّهها إلى الفتاة قائلًا :

ـ أما أنا فأجيد هذا النوع من الرقص .. هل تسمحين لى؟

وقفت الفتاة مترددة لحظة ، ولكن (ممدوح) لم يعطها الفرصة لمزيد من التردد ، إذ احتواها بين ذراعيه ، وهو يومئ برأسه إلى الرجل الذى حدجه بنظرة غاضبة ، وظل واقفًا لبعض الوقت ، فى حالة من التوتر ، بسبب هذا الذى فرض نفسه عليه وعلى فتاته دون استئذان ، ولكنه لم يلبث أن تمالك نفسه وعاد إلى المائدة تاركًا الفتاة بين ذراعى (ممدوح) ، وهو يحاول أن يقنع نفسه بالتحلى بروح الرجل العصرى ، محاولًا إخفاء تبرمه وغيرته .

أخذ (ممدوح) يراقص الفتاة وعيناه تدوران فى المكان ، بحثًا عن ذلك العملاق ، الذى أخبره (خارديس) بأنه يتبعها كظلها ، ولكنه لم يستطع أن يتبينه ، وسط هذا الحشد من الراقصين .

وألقى نظرة سريعة على الرجل ، الذى كان يراقصها ، فوجده جالسًا عند المائدة ، وقد تملكته حالة من التوتر والضيق .

وهمس (ممدوح) فى أذن الفتاة :

ـ إنك ترقصين برشاقة تستحق الاعجاب .

ورفعت الفتاة رأسها ، ونظرت إليه ، وقد أثر فيها الإطراء ، قائلة :

ـ أنت أيضًا تبدو راقصًا بارعًا ، بالرغم من اعتراضى على الطريقة التى أجبرتنى بها على مراقصتك .

قال (ممدوح) مبتسمًا :

ـ وماذا أفعل ؟... إنك فاتنة للغاية ، على نحو جعلنى أفقد السيطرة على نفسى ، فوجدتنى مندفعًا لمراقصتك على هذا النحو .. أرجو ألايكون صديقك قد ضاق بذلك .

ألقت نظرة نحو المائدة ، التى يجلس إليها صديقها ، قائلة :

ـ لقد أثرت غضبه بالفعل .

ثم سألته :

ـ أأنت إيطالى ؟

أجابها (ممدوح) :

ـ بل يونانى واسمى (جليوس) .. وأنت ؟

أجابته قائلة :

ـ فرنسية ، وأدعى (سيمون) .

ممدوح :

ـ هل جئت إلى (أسترتان) من أجل السياحة ؟

سيمون :

ـ نعم .. وأنت هل جئت إلى (أسترتان) كسائح أيضًا ؟

ممدوح :

ـ بل من أجل العمل .. إننى بحار ، وأمتلك سفينة شحن تجارية صغيرة فى (قبرص) ، وجئت إلى (أسترتان) أملًا فى عقد اتفاق مع أحد المصدرين أو المستوردين ، لنقل بعض الشحنات التجارية البسيطة من وإلى (أسترتان) .

لاحظ (ممدوح) أن شيئًا قد جذب انتباه الفتاة نحو باب الملهى ، فنظر فى ذات الاتجاه ، حيث رأى شخصًا ضخم الجثة ، مفتول العضلات ، له ملامح متصلبة ، ينظر إلى اتجاه الفتاة بعينين تشع منهما القسوة ، وهو يومئ إليها بإشارة معينة بذقنه ، وأحس بالفتاة وقد اعترتها حالة من الارتباك ، لدى رؤيتها لذلك الرجل ، وسرعان ماأفلتت نفسها من بين ذراعيه ، وسط الموسيقى ، قائلة :

ـ آسفة .. يجب أن أنصرف الآن .

اصطنع (ممدوح) الدهشة ، قائلًا :
ـ ولكن الرقصة لم تنته بعد .
ردت قائلة ، وهى تبادر بمغادرة ساحة الرقص :
ـ ربما أكملناها فى ليلة أخرى .
أسرع يلاحقها قائلًا :
ـ هل ستأتين إلى الملهى غدًا ؟
قالت وهى تسرع الخطا فى اتجاه المائدة التى يجلس إليها صديقها :
ـ ربما .
وقف (ممدوح) يراقبها ، وهى تتحدث إلى رفيقها ببضع كلمات ، ثم رآها تتجه إلى باب الخروج ، وقد وقف رفيقها يراقبها فى حدة ، وألقى نظرة على الرجل الضخم الجثة فرآه واقفًا مكانه فى ثبات ، وهو يراقب انصراف الفتاة من الملهى ، فدفع ثمن الشراب سريعًا ، ثم خرج ليلحق بها ، حيث استوقفها وهى تهم بفتح باب سيارتها ، قائلًا :
ـ (سيمون) هل يتعين عليك الانصراف سريعًا هكذا ؟
التفتت إليه قائلة بلطف :
ـ نعم .. إننى مضطرة لذلك .
سألها بإلحاح :
ـ وما الذى يضطرك إلى ذلك ؟
ألقت نظرة خائفة خلفه ، ثم تحولت إليه ، وقد تبدلت ملامحها فجأة :

ـ هذا لايعنيك .
ممدوح :
ـ إذن هل تعطينى اسم الفندق الذى تنزلين فيه .. ربما احتجت إلى الاتصال بك ؟
فتحت الفتاة باب السيارة ، وهى تهم بالركوب قائلة :
ـ من الأفضل أن تتوقف عن ملاحقتى عند هذا الحد .
حاول أن يقول شيئًا آخر ، ولكنه أحس فجأة بيد قوية تقبض على ذراعه ، وصوت أجش يقول له :
ـ ألاترى .. أنك قد ضايقت الآنسة بما يكفى ؟
استدار (ممدوح) ، ليجد نفسه أمام العملاق ، بوجهه الصلب ، وهو يرمقه بنظرة متحدية ، فجذب ذراعه من قبضة الرجل ، قائلًا :
ـ وماشأنك أنت ؟
أجابه العملاق :
ـ إننى لاأحب الفضوليين أمثالك .
وهنا سمع (ممدوح) صوت سيارة الفتاة ، وهى تنطلق مبتعدة عن المكان ، فحاول اللحاق بها ، ولكن الرجل أمسك سترته ليمنعه من الحركة ، فاستدار إليه (ممدوح) سريعًا ، ليصوب إلى فكه لكمة قوية ، وقبض على رسغ غريمه ، وهو يدور حول نفسه دورة سريعة ، ليلوى هذا الذراع القوى ، ثم دفعه بحذائه بقوة فى مؤخرة عموده الفقرى ، فجعل رأسه يصطدم بإحدى السيارات الواقفة فى الموقف .



استدار (ممدوح) ، ليجد نفسه أمام العملاق ، بوجهه الصلب ، وهو يرمقه بنظرة متحدية ، فجذب ذراعه من قبضة الرجل ..

وتخلص الرجل من تأثير الضربة القوية ، التى تلقاها فى فكه ورأسه ، بحكم قوة بنيانه ، ثم استدار سريعًا فى مواجهة (ممدوح) ، وقد استشاط غضبًا ، وهجم عليه وقد تملكته هستيريا من الغضب ، محاولًا توجيه لكمة قوية إلى فكه .

ولكن (ممدوح) تجنَّب اللكمة ، ليضرب عنق غريمه ضربة قوية جديدة ، جعلته يترنَّح جانبًا ، وسرعان ما تخلَّص العملاق من تأثير هذه الضربة أيضًا ، وعاود مهاجمة (ممدوح) من جديد ، وفى هذه المرة لم تفلح محاولة (ممدوح) لتجنُّب هجمات خصمه ، إذ فاجأه بركلة قوية فى معدته ، تألم لها ألمًا شديدًا جعله ينحنى إلى الأمام ، وأعقبها بركلة أخرى أشد قوة سدَّدها إلى وجهه ، ثم أمسك ياقة سترته بيديه ، دافعًا رأس (ممدوح) بعنف إلى السيارة التى تقف خلفه ، وأخذ يضرب مؤخرة رأسه بقوة فى جسم السيارة المعدنى ، وقد بدت ملامح القسوة واضحة على وجهه ، ولكن (ممدوح) تغلَّب على آلامه ، وارتكز بظهره على السيارة ، وهو يثنى ساقيه أمام صدره ، ليدفع بهما جسد العملاق بعيدًا عنه ، حيث عاد ليصطدم بإحدى السيارتين اللتين يتصارعان بينهما ..

وفى هذه المرة قفز (ممدوح) فى الهواء مسدِّدًا ركلة أشد تأثيرًا إلى وجه غريمه ، جعلته يدور حول نفسه وهو يترنَّح ، ثم سدد إليه لكمة كالمطرقة ، جعلت وجهه يصطدم بزجاج السيارة الجانبى ، ويهشِّمه .

وعلى الأثر تهاوى الرجل على الأرض ، وقد تركت شظايا الزجاج آثارها على وجهه .

وسمع (ممدوح) بعض الأصوات قادمة ، وبعضهـا يتساءل :

- ما الذى يحدث هناك ؟

فبادر بالهروب من المكان ، قائلا لنفسه :

- من الأفضل أن نكتفى بهذا القدر من المتاعب .

ثم أضاف بسرعة :

- في هذه الجولة ..

★ ★ ★



٥ ـ قصر الجواسيس ..

خطت الفتاة عدة خطوات مترددة ، داخل الغرفة الفسيحة ، حيث رأت حارسها الضخم واقفا فى أحد أركانها ، وقد أسند كتفه إلى المكتبة الكبيرة ، التى تحتل هذا الركن ، فى حين بدت آثار الجروح والكدمات واضحة على وجهه ، ووراء المكتب العريض ، الذى يقع فى نهاية الغرفة ، كان هناك رجل ضئيل الجسد ، دقيق الملامح ، يضع على عينيه منظارا طبيًا ذا عدسات مستديرة ، وقد جلس يراجع أوراقا أمامه ، ورفع الرجل وجهه عن الأوراق الموضوعة أمامه ، وهو يرمق الفتاة بنظرات صارمة ، من تحت عدسات منظاره ، ثم مالبث أن قال :

- لقد ارتكبت خطأ فادحا ، بسماحك لذلك الرجل فى الملهى بمراقصتك ، والتبسط معك على هذا النحو أيتها العميلة .

قالت (سيمون) بصوت مضطرب :

- لقد أقحم نفسه على فجأة ، ولم يدع لى الفرصة للرفض ، إذ سرعان ماأخذ يراقصنى ، دون أن أجد وسيلة للاعتذار .

سألها وهو يحدجها بنظرة فاحصة :

- تقصدين أنك وجدتى نفسك مدفوعة إلى هذا الموقف ؟

تعلقت (سيمون) بهذا التبرير ، فقالت :

- نعم .. لقد بدا الأمر كذلك بالفعل .

ضرب الرجل بيده فى عنف على حافة مكتبه ، قائلًا بصوت غاضب :

ـ خطأ .. إننا لم ندربك هنا على هذا .. العميل الذى يعمل لحساب المخابرات (الأسترتانية) يجب أن يكون جاهزًا لكل المواقف والاحتمالات ، وليس من المقبول لدينا مطلقًا أن يستسلم لموقف ما ، لأنه شعر بشىء من الحرج ، أو لم يجد القدرة على الاعتذار ، أو أى شىء من هذا القبيل .

ازدردت الفتاة لعابها ، قائلة :

ـ كولونيل (جوساف) .. لاتنس أننى مازلت مبتدئة .

هتف الرجل فى حدة :

ـ مبتدئة .. إنك تتدربين لدينا منذ خمسة أشهر ، وأصبحت تحوزين الآن رتبة الملازم فى المخابرات (الأسترتانية) ، كما أننا سمحنا لك بالتدريب العملى هنا فى (أسترتان) ، قبل إرسالك إلى بلادك ، للبدء فى تنفيذ المهام التى ستكلفين بها هناك .

لقد أمرتك بمصاحبة ذلك البلجيكى فى الملهى ، والعمل على التأثير عليه ، واستدراجه من أجل الحصول على بعض المعلومات العسكرية ، بحكم منصبه كضابط فى الجيش البلجيكى ، ولكنك بدلًا من هذا أثرت غضبه وغيرته ، بسماحك لذلك الرجل الآخر بالتدخل بينكما ، والاستغراق معك فى الرقص .

ألم يدر فى خلدك أن هذا الرجل ربما كان عميلًا مدسوسًا عليك ، من أحد أجهزة المخابرات المعادية .

وتطلعت إليه الفتاة بدهشة ، وكأنها تستبعد هذا الاحتمال ، قائلة :

ـ عميل ؟! إنه لايبدو كذلك مطلقًا .. كما أنه لم يحاول أن يستدرجنى للحصول على أية معلومات .

سألها قائلًا :

ـ ولكنه غازلك .. أليس كذلك ؟

أجابته بشىء من الحرج :

ـ نعم .. ولكن فى حدود اللياقة .

عاد يقول بنبرات صوته الحادة :

ـ لقد قلت لك من قبل : إن دورك فى الملهى مع ذلك البلجيكى على الرغم من أهميته ، ليس سوى جزء من تدريبك ، قبل أن تكلفى المهام الحقيقية ، وربما لم يكن هذا الشخص الآخر عميلًا كما تقولين ، ولكننى أتكلم عن الاحتمالات .. إننا هنا لانسمح بأى احتمال للخطأ ..

قد تتعرضين لأمر كهذا بعد سفرك إلى (فرنسا) .. شخص يستغل وسامته وبراعته فى الحديث ، لمحاولة التأثير عليك ومصاحبتك ، وربما كان هذا الشخص مدسوسًا من أحد أجهزة المخابرات الأخرى ، فعندما تقعين تحت تأثيره ، وتسلمين له قيادك ، تكون الطامة الكبرى ، إذ إنه لن يلبث أن يعرف حقيقة

دورك .. بل وربما أستغلك فى العمل ضدنا .. لامجال للعواطف لمن يعملون فى مهنتنا .

احتجّت الفتاة قائلة :

ـ كولونيل (جوساف) .. لقد اختبرتنى جيدًا ، وأعتقد أنك تعرف تمامًا أننى لست بهذه السذاجة ، التى تجعلنى أقع تحت تأثير أحد الأشخاص ، لمجرد ترديد بعض الكلمات العاطفية على أذنى ، كما أننى لو لم أكن موضع ثقتكم على النحو الذى يحول بينى وبين أن أعمل كعميلة مزدوجة لحساب جهة أخرى ، فإنه من الأفضل أن ينتهى الأمر بيننا عند هذا الحد .

ارتسمت على وجه الكولونيل (جوساف) ابتسامة ساخرة ، وهو ينظر إلى الفتاة قائلا :

ـ ليس بهذه السهولة أيتها الحسناء .. لقد وصلت معنا إلى الحد الذى يستحيل معه إنهاء الأمر بيننا .. أنت الآن ملازم فى المخابرات (الأسترالية) ، وبذلك أصبحت مرتبطة بنا إلى الأبد .

قال وهو يضغط على كلماته لكى تفهمها الفتاة بوضوح :

ـ الشىء الوحيد الذى يفرق بينك وبيننا هو الموت .. والموت فقط .

ارتعدت الفتاة قليلًا وقد بدا اضطرابها واضحًا لدى سماعها هذه الكلمات ، وتركها الكولونيل فى اضطرابها هذا ، وهو يعود إلى مطالعة الأوراق الموضوعة أمامه ، ثم قال بعد برهة من الوقت ، دون أن يرفع نظره إليها :

ـ يمكنك أن تنصرفى الآن .

سألته الفتاة :

ـ هل سأعود إلى الملهى الليلة ؟

قال وهو مستمر فى تقليب الأوراق أمامه :

ـ ستصدر لك تعليمات بهذا الشأن .

استدارت الفتاة ، وأسرعت بمغادرة الغرفة ، فى حين اقترب الرجل الضخم من الكولونيل قائلًا :

ـ إنها تكذب .. الأمر لم يبد بالنسبة لى مجرد موقف محرج ، اضطرتها الظروف أن تستسلم إليه .. بل لقد بدا واضحًا أنها معجبة بالرجل .. بل كان من الواضح أنها متبرمة للغاية ، عندما أشرت إليها بالتوقف عن مراقصته ، والتوجه إلى مائدة الضابط البلجيكى .

هذه الفتاة عاطفية ، ومن السهل أن تقع تحت تأثير عواطفها ، فتكون خطرًا علينا .

قال الكولونيل (جوساف) :

ـ أشاركك الرأى ، ولكن ليس هذا مايقلقنى .. مايقلقنى بالفعل هو حقيقة ذلك الرجل الذى راقصها .

لقد بدا تدخله غريبًا ، كما أن إلحاحه على الاتصال بالفتاة غير طبيعى ، خاصة وأن الملهى كانت به الكثيرات من الحسناوات غير (سيمون) ، وبعضهن بلا رفاق ، فلماذا سعى إلى (سيمون) بالذات ، وتعمد ملاحقتها على هذا النحو ؟

ثم إن الإصابات التى ألحقها بك ، برغم قدراتك التى أعرفها جيدًا ، تدل على أنه ليس مجرَّد شخص عادى ، بل هو شخص محترف ومدرب على وسائل القتال .

سأله الضخم :

ـ هل تعتقد أنه يمكن أن يكون عميلًا بالفعل ؟

قال الكولونيل (جوساف) ، وهو يرتكز بمرفقيه على مكتبه ، وفى عينيه نظرة تركيز واضحة :

ـ هذا احتمال وارد .. أوراق التحقيق الذى أجرى مع الفتاة أمامى ، وهى تشير إلى أنه ادعى للفتاة أنه بحار ، ويمتلك شفينة شحن تجارية صغيرة فى (قبرص) .

والبحارة يجيدون القتال بلاشك ، فلابأس من أن يكون قد أحدث بك بعض الإصابات فى عراكه معك ، كما أنه ربما وقع تحت تأثير جاذبية الفتاة ، فسعى إليها على هذا النحو فى الملهى ، خاصة وأن البحارة يندفعون غالبًا وراء عواطفهم ، ويفتقرون إلى اللياقة أحيانًا .

كل تلك الاحتمالات واردة ، ولكن يتعين علينا أن نحسم الأمر بشأنه .

وضغط على زر موضوع أمام مكتبه ، قائلًا :

ـ (جورى) ابعث رسالة لاسلكية سريعة إلى (قبرص) .. أريد معلومات وافية بشأن سفينة شحن تجارية صغيرة ، يمتلكها بحار يونانى يدعى (جليوس) .. يجب أن تكون هذه المعلومات على مكتبى خلال ثمان وأربعين ساعة من الآن .

ثم التفت إلى الرجل الضخم قائلًا :

ـ وأنت .. عليك أن تتعرف المكان ، الذى يقيم فيه هذا الرجل ، هنا ، وأن تجرى تحريات دقيقة عنه ، كما أريد منك أن تعرف إذا ماكان قد أجرى اتصالات حقيقية ، بشأن عقود استيراد وتصدير مع بعض الشركات هنا .

قال الضخم ، وهو يتأكد من وجود المسدس ، الموضوع فى الجراب الملتف حول إبطه :

ـ وإذا ماتنبه الرجل للتحريات ، التى أجريها بشأنه ، وتصدّى لى بطريقة أو بأخرى ؟

هنجه الكولونيل (جوساف) بنظرة مؤنبة ، قائلًا :

ـ إن عميلًا محترفًا مثلك لن يسمح له بالطبع أن يتبين حقيقة التحريات ، التى تجريها بشأنه .

رد الضخم قائلًا :

ـ إننى أفترض .. هل يسمح لى بقتله فى هذه الحالة ؟

قال الكولونيل (جوساف) بشىء من التردُّد :

ـ إذا ما اضطرتك الظروف لذلك .

ارتسمت على وجه العملاق ابتسامة قاسية ، وهو يسمع هذا الرد من رئيسه ، وأخذ يفرك يديه قائلًا :

ـ اطمئن ياسيادة الكولونيل .. سأؤدى عملى على أكمل وجه ، وهم بالانصراف ومغادرة الحجرة ، ولكن الكولونيل (جوساف) استوقفه قائلًا :

ـ انتظر .

ثم نهض من وراء مكتبه ليقترب منه ، وهو يحدجه بنظرة محتدة قائلًا :

ـ عليك أن تلتزم بتعليماتى حرفيًا ، دون مبالغة من جانبك ، فأنا أعرفك جيدًا تعطشك للقسوة واستخدام عضلاتك يطغى على سلامة تفكيرك ، وربما دفعتك رغبتك فى الانتقام من ذلك الرجل ، الذى تركت لكماته آثارها فى وجهك ، إلى التركيز على شىء واحد ، وهو ضرورة قتله ، دون أن تعبأ بما طلبته منك من ضرورة أن يكون ذلك تحت ضغط ظروف اضطرارية فقط ، ولن أغفر لك ارتكاب خطأ كهذا ، إذ لو تبين لنا أن الرجل عميل حقيقى ، فإنه يتعين علينا أن نرجع فى هذه الحالة إلى الرئاسة ، لنقرّر مايجب عمله بشأنه .

قال الضخم بجدية :

ـ سألتزم بالتعليمات حرفيًا ياسيادة الكولونيل .

أشار له الكولونيل لينصرف ، ولم يكد الرجل يغلق الباب خلفه ، حتى عاد يبتسم لنفسه تلك الابتسامة الوحشية ، التى تنبئ عن مزاجه الدموى .. لقد عقد العزم على التخلص من (ممدوح) سواء تبين له أنه عميل أم لا .

وقال لنفسه متمتمًا :

ـ الرجل الذى يجرؤ على ضرب (لوبال) يجب أن يموت ، مهما كانت الأوامر الصادرة بشأنه .

واستقل السيارة مغادرًا القصر الذى تتخذه المخابرات (الأسترتانية) مركزًا لتدريب العملاء الأجانب ، وكل عروقه تنبض بفكرة واحدة ..

القتل .





٦ ـ الصراع الرهيب ..

عاد (ممدوح) فى الليلة التالية إلى الملهى الليلى ، حيث جلس إلى نفس المائدة ، التى جلس إليها فى الليلة الماضية ، وهو يأمل فى حضور الفتاة الفرنسية إلى الملهى ، ولكن ساعات طويلة مضت ، دون أن تحضر الفتاة أو صديقها ، وأحسَّ (ممدوح) بالضيق ، فقد كان يمنِّى نفسه بلقاء الفتاة مرة أخرى ، إذ قدَّر أنها حتى لو لم تعاود الحضور ، كما تفعل كل ليلة ، وفقًا لما أخبره به (خارديس) ، فربما أرسلوها للتجسس عليه ، وجمع بعض المعلومات عن شخصه ، بعد أن لفت الأنظار إليه بملاحقته لها أمس وشجاره مع ذلك الحارس العملاق ، الذى يتولى حمايتها .

وكانت حاجته إليها ، للحصول على أية معلومات تفيد بشأن مهمته ، أكثر من حرصه على سلامته أو حذره من الدور الذى يمكن أن تلعبه معه ، فيما لو كانوا يشكون فى أمره ..

ولم يكن (ممدوح) يدرى أنه قد جذب الأنظار إليه بالفعل ، وأنه فى هذه اللحظة كانت عيون شريرة تراقبه ، من حيث لايدرى ، وهى تتحين الفرصة المناسبة للقضاء عليه ..

وما لبث (ممدوح) أن أدرك أنه لافائدة من الانتظار ، فغادر الملهى فى ساعة متأخرة من الليل ، فى طريقه إلى فندقه .

كان الظلام يسود الطريق الذى يسير فيه ، والتقطت أذنه الحساسة صوتًا لوقع أقدام تتبع خطاه ، فتوقف قليلًا عن السير ، وهو يرهف السمع ، حيث توقفت الأقدام على الأثر .

وما لبث أن عاود السير مرة أخرى ، وبدلًا من أن يسرع الخطا عرج إلى طريق جانبى ، ثم اختبأ فى مدخل أحد المبانى المتهدمة ، وسمع وقع الأقدام وقد ازدادت سرعته ، ثم لمح العملاق وهو يمر أمامه ، حيث وقف على الرصيف فى حيرة باحثًا عنه .

وأحس (ممدوح) بشىء من الارتياح ، لدى رؤيته هذا الرجل ، فهذا يعنى أنه قد نجح فى لفت الأنظار إليه ، وأن الليلة لن تمر هباءً ، والأحداث ستزداد سخونة ..

وانتظر (ممدوح) برهة من الوقت ، تاركًا الرجل واقفًا فى حيرته ، وهو يقلب البصر يمينًا وشمالًا بحثًا عنه ، ثم بدا أنه أحس بأنه لافائدة من الانتظار ، فتابع طريقه وهو يسب ويلعن ، وتركه (ممدوح) يسبقه بثلاثين مترًا ، ثم تبعه وهو يهتدى إلى مكانه بوقع أقدامه على الطريق ..

واجتاز الرجل عددًا من الشوارع والطرقات ، قبل أن يتجه فى طريق الميناء ، حيث اتجه إلى بقعة معزولة ، بها عدد من القوارب القديمة والسفن المعطَّلة .

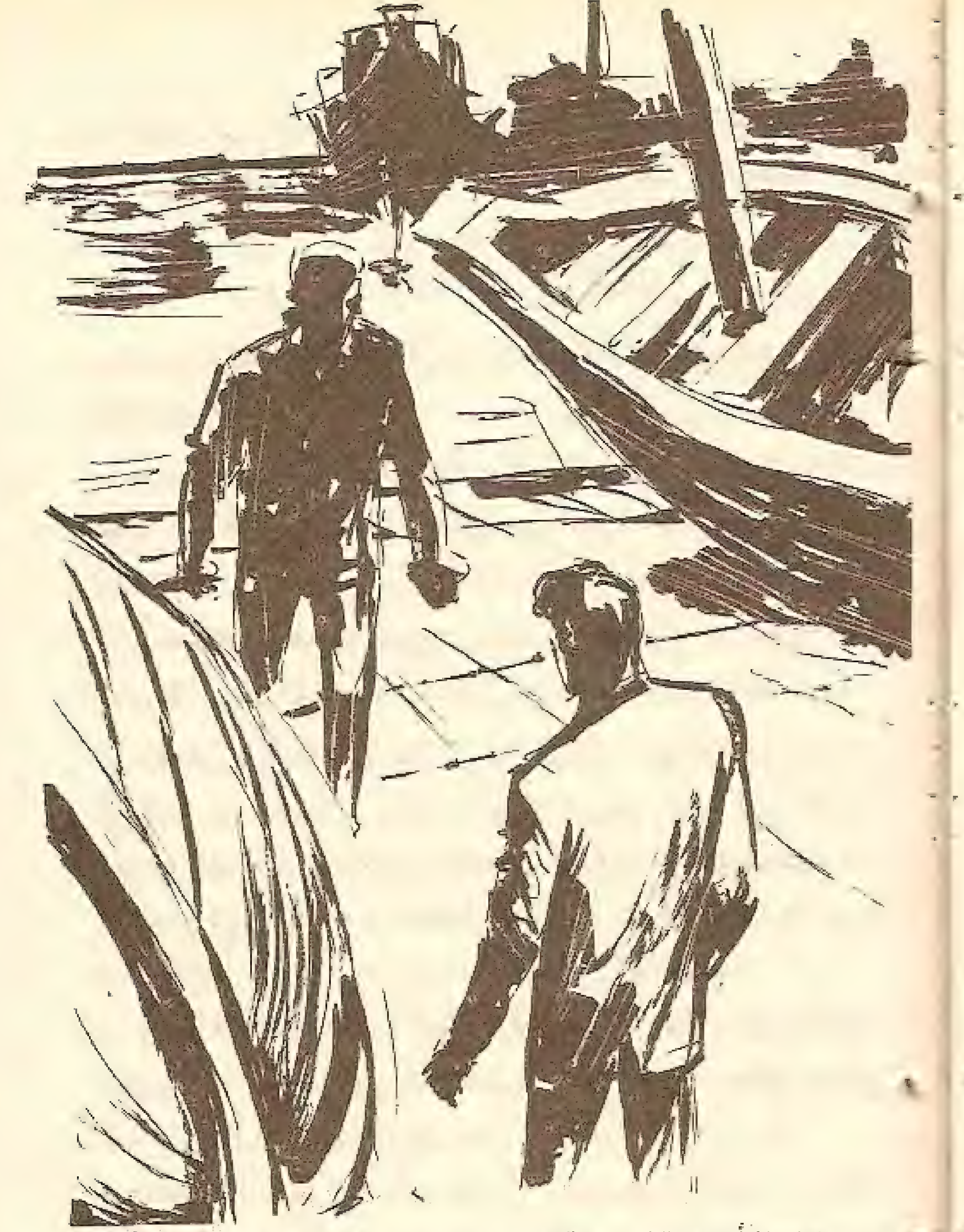
ولم يدرك (ممدوح) أن الرجل يحاول أن يجتذبه إلى فخ ، فى هذه البقعة المنعزلة ، ليعمل على القضاء عليه ، دون أن

يلفت الأنظار ، إذ إن أذنه أيضا لم تكن تقل حساسية ، خاصة بالنسبة لعميل محترف مثله ، واستطاعت أن تلتقط وقع أقدام (ممدوح) ، فعمل على جذبه إلى هذا المكان ..

ووقف (ممدوح) حائرًا بدوره ، وهو يحاول العثور على الرجل ، بعد أن توقف صوت أقدامه فجأة ، ولكنه كان أكثر حذرًا ، إذ أخذ يسير بين السفن والقوارب فى بطء ، وعيناه تدوران فى مقلتيهما ، وقد دفع يده تحت سترته ، بالقرب من مسدسه المعلق فى الجراب ، تحسبًا لأية مفاجأة قد تحدث ..

وفى هذه اللحظة كان (لوبال) قد أخرج من جيبه سكينًا حادًا ، وقد اختفى وراء مقدمة إحدى السفن ، الراسية على رصيف الميناء ، فى انتظار اقتراب (ممدوح) ، الذى كان يخطو بالفعل فى اتجاه السفينة .

وعندما أصبح على مسافة متر واحد منه ، ظهر له (لوبال) فجأة من وراء مقدمة السفينة ، وبحركة سريعة ومباغتة دفع نصل السكين الحادّ إلى ذراع (ممدوح) ، المختفية تحت سترته ، فقد كان بحكم خبرته أيضًا مدركًا مغزى وجود هذه الذراع أسفل السترة ، على هذا النحو ، وعلى الرغم من أن نسيج الملابس ، التى يرتديها (ممدوح) قد قلّل من أثر انغراس السكين فى ذراعه ، إلا أنها كانت كافية لإحداث جرح قطعى فى ساعده ، على نحو جعله يصرخ من الألم ، دون أن تقوى أصابعه على التقاط المسدس ، ونزفت الدماء من


وعندما أصبح على مسافة متر واحد منه ، ظهر له (لوبال) فجأة من وراء مقدمة السفينة ..

ذراعه ، فى اللحظة التى دفعه فيها (لوبال) فى مقدمة السفينة ، وهو يرفع يده بالسكين عاليًا استعدادًا لاستخدامها فى وجهه ، قائلًا :

- هانحن أولاء قد التقينا ثانية أيها البحار .

وأحدث جرحًا ظاهرًا فى صدغ (ممدوح) بسكينه ، وهو يقول (بغلظة) :

- لن تكون ميتتك سريعة ، بل سأجعلك تتمنى لو كانت كذلك ، بعد أن أمزق كل جزء من أجزاء جسدك ، جزاء تحديك لى .

وعمد إلى دفع السكين مرة أخرى إلى وجه (ممدوح) ، الذى تفادى نصلها الحاد ، لتنغرز فى مقدمة السفينة الخشبية .

وقبض (ممدوح) على رسغ الرجل ، ليمنعه من انتزاع السكين من مكانها ، ولكن (لوبال) رفع ركبته إلى أعلى ، ليصدم بها فك (ممدوح) صدمة قوية ، ثم أمسك شعره ، ليجذبه فى اتجاهه ، مسددًا له لكمة عنيفة ترنح لها (ممدوح) ..

وبكل الحقد والقسوة الكامنة فى نفس الرجل ، لوى ذراعه الجريحة ، وهو يقبض على سترته من الخلف ، ليدفع به إلى الماء ، من ارتفاع أكثر من متر ..

وشعر (ممدوح) بألم صارخ ، من جراء التواء ذراعه الجريحة ، حتى أنه لم يقو على المقاومة ، فترك نفسه يهوى

إلى الماء ، دون أن يحاول الدفاع عن نفسه ، فى حين عاد (لوبال) ينتزع السكين من مقدمة السفينة ، وهو عاقد العزم على مواصلة الإجهاز على (ممدوح) حتى النهاية ، إلى درجة أنه نسى المهمة الأصلية ، التى كلفه إياها رئيسه ، لمعرفة حقيقة أمره .

وكان (ممدوح) قد تعلق بأحد القوارب ، وحاول مساعدة نفسه على الصعود إليه معتمدًا على ذراعه السليمة ، ولكن (لوبال) لم يترك له الفرصة ، إذ قفز وراءه فى الماء ، ومعه سكينه ، ليجذبه من شعره مرة أخرى إلى الوراء ، والسكين مرفوع فى يده ، محاولًا إصابة عنقه ، ولكن (ممدوح) غطس سريعًا فى الماء ، ليحول بين السكين وتحديد الهدف ، وشق نصل السكين الحاد الماء ، بالقرب من عنقه ، فى حين عاد (لوبال) يجذبه من شعره إلى أعلى مرة أخرى ، ليعاود رفع السكين ..

وفى هذه المرة دفع (ممدوح) أصبعيه إلى عينى غريمه بقوة ، فأجبره على إغماضهما ، لتطيش سكينه عن هدفها من جديد ، ثم استغل اندفاع جسم الرجل إلى الأمام ، وهو يحاول الطعن بالسكين ، ليقبض على شعره بدوره ، وهو يجتذبه معه إلى أسفل سطح الماء ..

وبكل ماأوتى (ممدوح) من قوة وعزم ، تمكن من دفع رأس غريمه بين ساقيه ، فى حين ثبت يده القابضة على

السكين إلى أعلى فى وضع رأسى ، وتمكن من الاحتفاظ بهذا الوضع لعدة دقائق ، تحت سطح الماء ، معتمدًا على قوة رئتيه ، حتى ارتخت ذراع غريمه ، وأفلت السكين من يده ، فأيقن أنه غرق ، مما دفعه إلى التخلى عنه ، والصعود برأسه إلى السطح مرة أخرى ، وأخذ يستنشق الهواء ليعوّض الأكسوجين الذى فقده ، ثم حاول مساعدة نفسه على اعتلاء سطح القارب مرة أخرى ، لكنه فوجئ بغريمه ، الذى خدعه بالتظاهر بالغرق ، يبرز له فوق سطح القارب ، بعد أن استطاع اعتلاءه من الجهة الأخرى ، وقد أمسك بالمجداف الخشبى الموجود فى القارب ، ليضرب به بشدة على يد (ممدوح) التى تعلّقت بحافته ، وأتبع ذلك بضربة أخرى قوية على رأسه ، محاولًا إغراقه ..

وأثرت الضربة على (ممدوح) ، على نحو كاد يفقد معه وعيه ، ولكنه قاوم ، وأخذ يتفادى الضربات الموجهة إليه ، محاولًا السباحة فى اتجاه رصيف الميناء ..

كانت آلام ذراعه الجريحة تشتد عليه ، وضاعف من قسوتها ذلك الصراع الذى أنهكه ، فحاول تفادى الاستمرار فى الاشتباك مع خصمه ، ولكن (لوبال) حال بينه وبين مواصلة السباحة فى اتجاهه ، نحو رصيف الميناء ، بتسديد ضربة أخرى قوية بمجدافه ، أصابت كتف (ممدوح) ، الذى لم يجد بدًا من مواصلة النضال ، فتحول إليه بعزيمة المناضل ،

سابحًا فى اتجاه القارب ، دون أن يعبأ بضربات المجداف ، التى أخذ يصوبها إليه ، لتشق الماء حوله ، وهو يتفاداها بمهارة .

وهتف به (لوبال) بغلظة ، وهو يعاود رفع المجداف عاليًا ، ليضربه به فى رأسه :

ـ سأجعل البحر مقبرتك .

ولكن (ممدوح) غطس سريعًا ، فى اللحظة التى هوى فيها المجداف إلى الماء ، وهو يدفع بنفسه إلى الأعماق ، ليتفادى تأثير ارتطام المجداف برأسه ، وعندما ظهر رأسه مرة أخرى على السطح ، كان قد قبض بيديه على نهاية المجداف الخشبى كالطوق الحديدى .

وبقوة غير عادية ، خلقها التحدى والإصرار ، جذب (ممدوح) المجداف نحوه ، جاذبًا معه غريمه ، ليهوى به إلى البحر ..

وغاص (لوبال) فى الماء ، ولكنه بقى متشبثًا بالطرف الآخر من المجداف ، حيث أخذ يتجاذبه مع (ممدوح) ، ونجح فى انتزاع المجداف من (ممدوح) ، بعد أن استغل ضعف ذراعه الجريحة ، ليرد بمقدمته ضربة قوية أصابت صدغه ، وجعلت رأسه يصطدم بجسم القارب .

وقبل أن يتخلص (ممدوح) من تأثير الضربة ، التى تلقاها فى وجهه ، كان (لوبال) قد سبح فى اتجاهه ، وقد قبض على المجداف بيديه من الجهتين ، ليثبته على حنجرته ، وهو

يضغط عليها بقوة ، حاشرًا عنقه بين جسم القارب والمجداف الخشبى ، عاملًا على خنقه ..

وغالب (ممدوح) آلام ذراعه ، مستنفرًا عزيمته ، ومتشبثًا بالحياة ، محاولًا مقاومة دفع خصمه للمجداف الخشبى بالدفع المعاكس ، لكن مقاومته لم تنجح إزاء الإصرار الشرس لغريمه ، الذى أخذ يضغط على قصبته الهوائية بالمجداف ، فى وحشية .

وفى محاولة أخيرة منه للنجاة ، رفع (ممدوح) كلتا يديه عاليًا ، لينهال بضربة قوية بحدى كفيه ، على عنق خصمه ، وجاءت الضربة من القوة ، بحيث أصابت عنق (لوبال) بألم حقيقى ، جعل يديه ترتخيان قليلًا على المجداف ، وكان هذا هو ما يحتاج إليه (ممدوح) إذ مكنه ذلك من القبض على المجداف بدوره ، وانتزاعه من بين يدى غريمه ، وسدد ضربة قوية بأحد جانبى المجداف لفك (لوبال) ، فأطاح به بعيدًا عنه .

وقبل أن يفيق (لوبال) من الضربة ، عاجله (ممدوح) بضربة أخرى أشد قوة على رأسه ، ثم اتبعها بثالثة ، ليغوص بعدها (لوبال) فى الماء فاقدًا الوعى ..

وارتكن (ممدوح) برأسه قليلًا إلى القارب ، وهو يلتقط أنفاسه اللاهثة ، بعد هذا الصراع العنيف ، الذى خاضه مع ذلك السفاح ، وما لبث أن رأى جثة (لوبال) طافية على الماء ، بعد أن قضى نحبه غريقًا .

اقترب (ممدوح) منه ليفتش فى جيوب سترته ، حيث وجد بطاقة بلاستيكية ، مدونًا عليها اسمه ورقمه الكودى (١٤) ، ومهنته كعميل فى الوحدة الرابعة للمخابرات (الأسترتانية) ، ورتبته كملازم فى هذه الوحدة .

كما وجد معه بطاقة أخرى ، بها صورة للفتاة (سيمون) ، ومسجل أمامها بيان يشير إلى أنها عميل تحت التدريب ، فوضع البطاقتين فى جيبه ، ثم تحامل على نفسه ليسبح متجهًا نحو رصيف الميناء ، وقد أنهكه الألم والتعب الشديد ، وأدرك أن مهمته الحقيقية قد بدأت ..

بدأت بحق .



٧ ـ الشرك الناعم..

كانت الساعة قد اقتربت من الثانية عشرة مساء ، عندما اجتازت سيارة سوداء كبيرة بوابة القصر ، وأسرع شخصان بالهبوط من السيارة بمجرد وقوفها ، حيث بادر أحدهما بفتح بابها ، ليغادرها شخص متوسط القامة ، يرتدى معطفا بنيًا ، ويضع عصابة سوداء على إحدى عينيه ، وقد بدت عينه الأخرى شديدة الجحوظ .

وأمام المدخل استقبله الكولونيل (جوساف) ، محييًا بحرارة ، وهو يقول :

ـ إنه لشرف عظيم أن تأتى لزيارتنا فى مركز تدريب الوحدة الرابعة يا سيادة الجنرال .

رد عليه الرجل بفتور ، وهو يتقدمه إلى الداخل ، قائلًا :

ـ دعك من المجاملات يا (جوساف) .. أنت تعلم الهدف من وراء زيارتى للوحدة الرابعة .

قال (جوساف) بارتباك :

ـ وكيف يتسنى لى أن أعرف يا سيادة الجنرال ؟

قال الجنرال بخشونة :

ـ عن طريق أصدقائك وعملائك فى الإدارة العامة بالطبع .. ألا يبلغونك بمواعيد التفتيش ، التى تتم على المركز بصفة

منتظمة ، وفى المواعيد الملائمة؟. هل تظن أننى لا أعرف ما الذى يدور هنا ؟

فرك (جوسان) يديه قائلًا ، وفى صوته شىء من المداهنة :

ـ على كل حال .. المركز مستعد للتفتيش فى أى وقت ، وفى أية لحظة يا سيادة الجنرال ، فنحن نؤدى عملنا على أفضل وجه .

قال ذلك وهو يفتح باب حجرته للجنرال ، مفسحًا له الطريق للدخول ، حيث تقدم الجنرال إلى الداخل ، و (جوساف) خلفه ، فى حين بقى الشخصان اللذان اصطحباه أمام الباب بالخارج ، ونزع الجنرال قفازيه ، قائلًا :

ـ إننى لم آت إلى هنا من أجل التفتيش يا (جوساف) ، ولكنى أريد أن أعرف ما الذى يحدث فى هذا المكان .

سأله (جوساف) :

ـ لا أفهم ماذا تعنى بهذه العبارة يا سيِّدى ؟

جلس الجنرال فوق أحد المقاعد ، واضعًا ساقًا فوق أخرى ، وهو ينظر إلى الكولونيل (جوساف) قائلًا :

ـ لقد وجدت جثة أحد رجالك طافية فوق سطح الماء ، إلى جوار رصيف الميناء ..

أليس كذلك ؟

أجابه (جوساف) ، وهو يجلس على المقعد المواجه للجنرال :

- نعم ياسيّدى .. لقد وُجِد (لوبال) غريقًا بالأمس .

ضرب الجنرال بيده فى عنف على مسند المقعد الجالس عليه ، قائلا وقد ازدادت نبرات صوته خشونة :

- بل قتيلًا .. لقد كانت أثار الضربات والكدمات واضحة على وجهه ، عندما انتشلت جثته من الماء .

قال له (جوساف) :

- نعم ياسيّدى .. لقد أخبرت الإدارة ...

قاطعه الجنرال :

- نعم أخبرت الإدارة ، ولكنك لم تنتظر حتى تتلقى منا التعليمات ، بشأن ذلك البحار المزعوم ، وفضّلت أن تتحرك من تلقاء نفسك ، وبذلك تسبّبت فى مقتل واحد من أفضل رجالك ، وأثرت مزيدًا من الشك حول العمل الذى يدور هنا .

جوساف :

- لقد أردت أن استكشف حقيقة هذا الرجل ، وما إذا كان يشكل خطرًا ما ، بالنسبة لعملنا هنا .

قال الجنرال ، وهو مستمر فى انفعاله :

- عملك هو الإشراف على هذا المركز ، لإعداد عملاء من طراز رفيع ، يمكن استخدامهم فى الخارج ، من أجل مهام محددة ، وأما مايتعدّى ذلك فهو من اختصاصنا ، وما عليك إلا إبلاغنا بالشكوك التى تساورك فقط ، بخصوص أشخاص من طراز ذلك البحار ، أو أى أمر آخر يتعدى نطاق التدريب ، ونحن لدينا من يتولى مثل هذه الأمور .

وصمت قليلا قبل أن يقول :

- إنك حتى لم تحسن اختيار الشخص المكلف معرفة حقيقة هذا الرجل ، فـ (لوبال) أخصائى فى القتل والتعذيب ، وطبيعته تميل دائمًا إلى القسوة والسادية ، وليس هو بالشخص الذى يجيد جمع المعلومات ، وهكذا فإنه عرض نفسه لمواجهة ثأرية مع ذلك البحار ، انتهت بموته ، دون أن يحقق النتيجة المرجوة .

قال (جوساف) وقد تقلصت عضلات وجهه :

- لا أدرى كيف تمكن منه ذلك الرجل ؟.. لقد كان من أفضل رجالى .

رد عليه الجنرال ، وقد اكتسى صوته بنبرة هادئة :

- وهذا يعنى أن خصمه ليس بالشخص الهين .. لقد تسلّمت التقرير الخاص بالمعلومات ، التى تم جمعها بشأنه فى (قبرص) ..

هناك بالفعل سفينة شحن تجارية صغيرة ، مقيدة باسم (جلسياس) فى (قبرص) ، ولكن تاريخ تسجيلها بهذا الاسم مدوّن منذ فترة قصيرة ، كما أن ذلك الرجل لم يسع لعقد صفقات جادة مع أى من المصدرين أو المستوردين هنا منذ حضوره ، وهذا يلقى بظلال من الشك حوله ، خاصة إذا ما أضفنا إلى ذلك ملاحقته لعميلتك بالذات ، وذهابه اليومى إلى الملهى ، من أجل الالتقاء بها ، على الرغم من تجاهله لغيرها من الفتيات

الأخريات ، وقدراته التى مكنته من التغلب على شخص مثل (لوبال) ، وهو واحد من أكفأ رجالك كما تقول .

قال (جوساف) سريعًا :

- إذن فإن شكوكى كانت فى محلها .

الجنرال :

- إننا لم نجزم بذلك بعد ، لكننا لن نترك أى شىء للاحتمالات .. علينا أن نعرف الحقيقة ، التى تختفى وراء ذلك الرجل ، وأيا كان الأمر ، لابد من قتله فى النهاية، ووسيلتنا فى ذلك ستكون هى فتاتك ، فمن الواضح أنه يسعى خلفها ، وهو يذهب إلى الملهى كل ليلة أملًا فى الالتقاء بها ؛ لذا فستذهب إليه الليلة القادمة ، وستكون هى الطعم الذى سنستخدمه لاستدراجه ، ومعرفة دوره الحقيقى .

جوساف :

- ولكن هناك احتمال لأن نكون إزاء عميل محترف كما قلت ؛ لذا فإن استخدام عميلة مبتدئة مثل (سيمون) سيكون أمرًا محفوفًا بالمخاطر ، فضلًا عن أننى لاأثق كثيرًا بهذه الفتاة .

الجنرال :

- لقد قلنا أنها ستكون بمثابة طعم فقط ، وأما الباقى ، فسنتولاه نحن ، وإذا كنت تشعر بشىء من عدم الثقة فيها كما تقول ، فسوف أجعل رجالى يتولون أمرها ، بعد أن تنتهى من

أداء مهمتها ، إذ لايمكننا الاعتماد على أشخاص لايمكننا أن نمنحهم ثقتنا كاملة .

* * *

غاص (ممدوح) فى مقعده ، وهو يتناول شرابه ، فى أحد أركان الملهى ، وتحسس ذراعه الجريحة تحت سترته ، بعد أن ربطها ببعض الضمادات ..

كان هناك بعض الألم ، ولكنه لم يكن يقارن بالآلام التى عاناها من قبل ، وعندما انتهت الفقرة الموسيقية ، التى أدتها إحدى الفرق ، وعاد الراقصون ، إلى أماكنهم ، لمح الفتاة وهى تدخل الملهى ، وعيناها تدوران فى المكان ، وقبل أن ينهض (ممدوح) لاستقبالها .. عادت الموسيقى تنبعث فى أرجاء المكان مرة أخرى .

وسارع أحد الأشخاص يدعوها إلى الرقص ، قبل أن يسبقه إليها أحد من رواد الملهى ، فلم تجد الفتاة مفرًا من قبول دعوته .

وتقبل (ممدوح) الأمر بروح رياضية ، فعاد إلى مائدته ، وهو ينظر إليها وعلى وجهه ابتسامة مرحة ، إذ كان واثقًا من أنها ستأتى إليه ، بعد أن تنتهى من رقصتها ، وأنها لم تأت إلى الملهى هذه المرة إلا من أجله وحده فقط ، وابتسمت له الفتاة وهى تراقص زميلها ، ردًا على إشارته ، وما أن انتهت الفقرة الموسيقية حتى استأذنت الفتاة من رفيقها ، واتجهت صوب



وما أن انتهت الفقرة الموسيقية حتى استأذنت الفتاة من رفيقها . واتجهت صوب مائدة (ممدوح) ، الذى نهض لاستقبالها ..

مائدة (ممدوح) ، الذى نهض لاستقبالها ، حيث قالت له بمرح :

ـ هأنذى قد وفيت بوعدى .. الرقصة القادمة ستكون من نصيبك .

ابتسم (ممدوح) ، وهو يتناول يدها بين يديه ، قائلًا :

ـ كنت فى انتظار حضورك .

قالت وهى ترنو إليه بإعجاب :

ـ أأنت واثق من نفسك دائمًا هكذا ؟

ضحك (ممدوح) قائلًا :

ـ إننى أعتمد على حظى الحسن .

عادت الموسيقى تتردد فى المكان مرة أخرى ، فقال لها (ممدوح) :

ـ أعتقد أنه حان الوقت لنكمل رقصتنا السابقة .

ثم أحاط خصرها بذراعه ، وهو يدور بها فى ساحة الرقص ، وقال لها مبتسمًا :

ـ أمازلت تريننى راقصًا جيدًا ؟

قالت وهى تزيح بعض خصلات الشعر من على جبينها :

ـ أعتقد أنك لست بحاجة إلى شهادة منى بذلك .

وصمتت قليلًا ، وهى مستكينة بين ذراعه ، ثم رفعت إليه رأسها قائلة :

ـ لماذا أصررت على ملاحقتى بهذه الطريقة ، فى المرة

السابقة على الرغم من أن الملهى كان مزدحمًا بعشرات الفتيات الجميلات ، اللاتى يسعدهن أن يحظين باهتمام شاب وسيم مثلك ؟

أجابها (ممدوح) قائلًا :

ـ هذا لأننى لم أر منهن من تفوقك جمالًا وجاذبية .

قالت الفتاة باسمة :

ـ على الرغم من أنك ترضى غرورى بعبارة كهذه ، إلا أننى لاأعتقد أن هذا هو السبب الحقيقى .

ممدوح :

ـ يمكنك أن تعدى ما قلته أحد الأسباب .

رنت إليه قائلة :

ـ وما بقية الأسباب الأخرى ؟

نظر (ممدوح) حوله ، قائلًا :

ـ لاأعتقد أن مجال الحديث فيها يصلح هنا .

عادت إليه قائلة وفى صوتها رنة إغراء واضحة :

ـ ما رأيك فى مكان هادئ ، منعزل ، يبعد نصف ساعة فقط عن هذا الملهى ؟ أيروقك مثل هذا المكان لشرح أسبابك ؟

ممدوح :

ـ أعتقد أن مكانًا كهذا سيروقنى تمامًا .

ضحكت الفتاة قائلة :

ـ إنك حتى لم تسألنى عما يكون هذا المكان؟

رد عليها قائلًا :

ـ أعتقد أن أى مكان سأذهب إليه معك ، لابد أن يكون رائعًا .. لذا فلست بحاجة للسؤال عنه .

قالت الفتاة ، وقد وضح تأثير عبارات (ممدوح) عليها :

ـ على كل حال.. إنه منزل صغير ، يطل على البحر ، استأجرته لعدة أيام ، بدلًا من تلك الغرفة الصغيرة التى أقطنها بالفندق .

أطلق (ممدوح) صفيرًا قصيرًا ، قائلًا :

ـ منزل يطل على البحر .. هذا يعنى أنك ثرية بلاشك .

سيمون :

ـ الأمر لايعدو بضعة أيام فقط، من أجل قضاء إجازة ممتعة ، والآن هل نختصر رقصتنا ، ونسرع بالذهاب إلى هناك؟

توقف (ممدوح) عن مواصلة الرقص ، قائلًا :

ـ أعتقد أن الأمر يستحق التضحية باستكمال الرقص هذه المرة .

واستدعى الساقى ليدفع الحساب ، ثم اصطحبها خارج الملهى ، وقد تيقظت كل حواسه ، إذ كان واثقًا بأن هذه الدعوة الناعمة تحمل فى طياتها شركًا أعد له بعناية .. لقد بدأ يحظى باهتمامهم ، فبالأمس أرسلوا له (لوبال) ، واليوم أرسلوا له من هى أكثر فتنة ..

وأكثر خطرًا .

* * *

٨ ـ أمسية مثيرة ..

قال (ممدوح) للفتاة ، وهو جالس إلى جوارها فى السيارة :

ـ بالمناسبة إننى لا أرى صديقك الضخم يعترض طريقنا هذه المرة .

قالت وهى تقود السيارة ، ناظرة إلى الطريق أمامها :

ـ تقصد (لوبال) .. إنه ليس صديقى .. بل يتولى حمايتى فقط .

ممدوح :

ـ حمايتك .. ممن ؟

سيمون :

ـ من بعض المعجبين الثقلاء .. ممن يحاولون فرض أنفسهم علىّ أحيانًا .

ممدوح :

ـ إذن فقد كنت أحد هؤلاء الثقلاء ؛ لذا دفعته إلى التخلص منى فى تلك الليلة .

سيمون :

ـ مطلقًا .. فقد حظيت بإعجابى ، والدليل على ذلك أننا معًا الآن ، ولكننى أعتقد أنه قد تمادى فى القيام بعمله ، وحاول أن

يتدخل فى شئونى ، وأن يفرض علىّ من أختارهم .، مما جعلنى أضيق به ، وأسعى لتنحيته عن عمله .

ممدوح :

ـ ولكنك سعيت للتخلص منى هذه الليلة ، وانطلقت بسيارتك تاركة له مهمة القيام بعمله معى .

سيمون :

ـ لقد كنت أسعى وراء أمر عاجل ، لا يحتمل التأخير ، ولم أكن راغبة فى الانتظار أكثر من هذا على النحو الذى يمكن أن يثير متاعب بينك وبينه ، خاصة وأننى كنت أعرف أنه يمكن أن يتمادى كما قلت لك .

سألها (ممدوح) ، وهو يحاول تبين وقع سؤاله عليها :

ـ ولكن ترى هل أنت التى قمت بتعيينه لحمايتك ، منذ بدء الأمر ، أم أن هذا العمل قد أسند إليه من قبل آخرين ، يقدرون ما لجمالك من تأثير على الكثير من المعجبين ، الذين سيسعون حتمًا إلى مغازلتك ، وملاحقتك أينما تذهبين ؟

افتر ثغر الفتاة عن ابتسامة صغيرة ، وهى ترنو إليه قائلة :

ـ على كل حال ، لقد انتهى الدور الذى كان يقوم به هذا الرجل ، ولم يعد بإمكانه مضايقتنا بعد الآن .

قالت ذلك وهى تحاول أيضًا أن تتبين تأثير كلامها عليه ، ولكن (ممدوح) قال لها فى هدوء :

ـ إننى واثق من ذلك .

أوقفت الفتاة السيارة أمام منزل صغير منعزل ، محاط بسور خشبى ، ويطل على البحر مباشرة ، قائلة :

ـ إذن دعنا نتوقف عن الحديث عنه .

وفتحت باب السيارة ، وسبقته إلى فتح باب المنزل ، فى حين وقف (ممدوح) لدى السور الخشبى ، وهو يتأمل المكان حوله ، ومالبث أن دلف إلى الداخل ، حيث دعته الفتاة إلى الجلوس ، ثم تركته قليلًا ، وعادت إليه حاملة صينية عليها كوبان من عصير البرتقال ، لتقدم له أحدهما ، ثم جلست إلى جواره على الأريكة ، وهى ترنو إليه بدلال قائلة :

ـ والآن هل ستخبرنى بالأسباب الحقيقية التى دعتك إلى ملاحقتى فى الملهى على هذا النحو ؟

قال لها (ممدوح) بخبث :

ـ هل أنت واثقة أن تلك الأمسية الجميلة لن تضيع هباءً ، فى شرح تلك الأسباب لك .

ضحكت قائلة :

ـ مازال الليل ممتدًا أمامنا .

ممدوح :

ـ حسنًا .. إن أحد تلك الأسباب مثلًا ، التى دفعتنى لملاحقتك ، هو علمى بأنك لست سائحة فرنسية كما تدعين ، وإنما تعملين لحساب المخابرات (الأسترتانية) ، برتبة ملازم تحت التدريب .. هل يكفى سبب كهذا ؟

قالت له الفتاة ، وهى تحاول إخفاء أى أثر لكلماته عليها :

ـ لست جادًا فيما تقوله بالطبع .

أخرج (ممدوح) البطاقة البلاستيكية ، التى حصل عليها من جيب (لوبال) بعد غرقه ، وعليها صورتها ، والبيانات الخاصة بها ، ليبرزها لها قائلًا :

ـ بل جادًا جدًا ، وهذا هو الدليل على ذلك .

تناولتها الفتاة منه قائلة :

ـ من أين حصلت على هذه البطاقة ؟

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ من جيب حارسك الخاص ، الذى علمت بالمصادفة أنه يعمل لحساب الجهة التى تعملين لها .

تطلعت إليه الفتاة ، وهى تتفرس فى وجهه ، قائلة :

ـ إنك شديد الجرأة .. ألاتعلم ما الذى يمكن أن يحيق بك ، إزاء حصولك على معلومات كهذه ؟

ممدوح :

ـ بالطبع .. أعلم أنه يتعين علىّ ، فى هذه الحالة ، أن أحمل تلك المعلومات معى إلى القبر ، الذى سيعمل رؤساؤك على إرسالى إليه .

سألته قائلة بشىء من المزاح :

ـ وما الذى ستفعله فى هذه الحالة ؟

قال (ممدوح) ساخرًا :

- سأحول بينهم وبين تحقيق هذه الأمنية بالطبع .. ولكى أثبت لك ذلك ...

وهب واقفًا فى حركة فجائية ليدفع بقدمه باب إحدى الغرف ، الذى لمحه ينفرج قليلًا ، وقد أطلت منه فوهة بندقية آلية ، وجاءت الدفعة من القوة ، بحيث أطاحت بالرجل المسلح الواقف وراء الباب ، فسقط على الأرض ، وقد أفلتت البندقية من يده ، وقبل أن يلتقطها كان (ممدوح) قد وثب فوقه ، منقضًا عليه بلكمة كالمطرقة أصابت فكه ، ليحول بينه وبين استعادتها مرة أخرى ، ثم تناول (ممدوح) البندقية ، ليدفع فوهتها بين شفتى الرجل ، قائلًا :

- والآن يا عزيزى ستنهض ببطء ؛ لتخبرنى بحقيقة هذه اللعبة كلها .

ولكنه أحس فجأة بفوهة بندقية آلية أخرى تلتصق بمؤخرة رأسه ، وسمع صوتًا أجش يأتيه من الخلف ، قائلًا :

- ستستمع إلى حقيقة اللعبة منى أنا ، ولكن بعد أن تنهض أنت واقفًا على قدميك ، ويداك مرفوعتان إلى أعلى ، تاركًا لزميلى سلاحه .

ولم يجد (ممدوح) بدًا من إطاعة الأمر الصادر إليه ، فترك البندقية فوق صدر الرجل . الممدد على الأرض ، ونهض واقفًا ويداه مرفوعتان إلى أعلى ، وقد تراجع إلى الخلف خطوتين .

وفى تلك اللحظة جاءت الفتاة لتقف بالقرب من (ممدوح) قائلة للرجلين :

- أعتقد أن مهمتى تنتهى عند هذا الحد .

ولكن الشخص الآخر ، الذى نهض من فوق الأرض ، صوب إليها سلاحه قائلًا :

- بالفعل يا عزيزتى .. مهمتك تنتهى عند هذا الحد ، ولم يعد بنا حاجة إليك .

نظرت (سيمون) إلى البندقية المصوبة إليها فى ذعر ، قائلة :

- ما معنى هذا ؟

قال الشخص الذى يصوب سلاحه إلى (ممدوح) فى برود :

- معناه واضح .. لقد صدرت الأوامر بقتلك ، فور انتهائك من إحضار هذا الشخص هنا ، على الرغم من أنه يؤسفنى التخلص من فتاة جميلة مثلك .

بدت ملامح الخوف واضحة على وجهها ، ولكن (ممدوح) غمز لها بطرف عينه سريعًا ، وهو يأمل أن تفهم مغزى ما يريد منها أن تفعله ، وبالفعل كانت الفتاة من الذكاء ، بحيث أدركت ما يريده (ممدوح)، فتغلبت على عوامل الخوف بداخلها ، واقتربت من الرجل الذى يصوب سلاحه نحو (ممدوح) ، وهى تمسح بيدها على وجهه ، وتمد إليه شفتيها فى إغراء ، قائلة :

- لا أعتقد أن قلبك سيطاوعك على قتلى .. لماذا لا نكون أصدقاء ؟

بدا على الرجل شىء من الاضطراب ، للأثر الذى أحدثته الفتاة فى نفسه ، فى حين قال الآخر فى غلظة :

ـ دعنا ننهى هذا الأمر سريعًا ، فلاوقت لدينـــا لتلك الألاعيب .

وبالفعل تمالك الرجل نفسه ، وأمسك برسغها ، ليبعد يدها عن وجهه ، قائلًا بخشونة :

ـ آسف أنت تعلمين .. لايمكننا مخالفة الأوامر .. يجب أن تموتى .

واستغل (ممدوح) انشغال الرجل بالفتاة ، وهو يحاول إبعادها عنه ، ليصوِّب ركلة قوية وسريعة إلى يد الشخص ، الذى يواجهه ، مطيحًا بالبندقية الآلية من يده ، ثم انحنى جانبًا ، فى اللحظة التى انطلقت فيها رصاصات بندقية الآخر صوبه ، ملقيًا بنفسه على الأرض ، فى سرعة فائقة .

وكالبرق الخاطف ، كانت يده قد التقطت البندقية الآلية ، ثم انقلب على ظهره ، فى اللحظة التى استعد فيها خصمه لإطلاق عدد آخر من الرصاصات فى اتجاهه ، ولكن رصاصات البندقية التى يحملها (ممدوح) ، كانت أسرع ، إذ ضغط على الزناد ، ليستقر عدد منها فى صدر الرجل ، الذى تهاوى على الأرض ، وفى صدره عدة ثقوب ..

وفى اللحظة التى تناول فيها الآخر مسدسه ، ليصوِّبه نحو (ممدوح) ، كانت الفتاة قد سبقته بإخراج مسدسها من

حقيبتها ، لتعاجله برصاصة محكمة ، جعلته يهوى صريعًا إلى جوار زميله .

وبقى (ممدوح) راقدًا على الأرض ، والبندقية فى يده ، وهو يراقب الفتاة فى حذر ، ومتحفزًا لأى تصرف عدوانى أو طائش من جانبها ، ولكنها مالبثت أن ألقت بالمسدس على الأرض ، وهى تتهاوى فوق أحد المقاعد مرددة فى ذهول :

ـ لماذا ؟ لماذا ؟ لقد امتثلت لكل أوامرهم .. فلم يغدرون بى على هذا النحو ؟

نهض (ممدوح) لينفض التراب عن نفسه ، وهو ينحى البندقية الآلية جانبًا ، قائلًا :

ـ هذا يعطيك فكرة واضحة ، عن أولئك الذين تعملين الآن لحسابهم .

ولكنها دفنت وجهها بين يديها وهى تجهش بالبكاء ، فى حين أطلق (ممدوح) زفرة قصيرة ، قائلًا بتهكم :

ـ يالها من أمسية مثيرة .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ وخطيرة .

* * *



وفى اللحظة التى تناول فيها الآخر مسدسه ، ليصوّبه نحو (ممدوح) .. كانت الفتاة قد سبقته بإخراج مسدسها من حقيبتها ، لتعاجله برصاصة محكمة ..

٩ ـ خطة فى الأعماق ..

توقفت السيارة بـ(ممدوح) والفتاة ، على مسافة غير بعيدة من القصر ، أو مركز تدريب العملاء الأجانب ، حيث غادرها ليلقى نظرة عليه من بعيد ، بوساطة منظاره المقرّب ، وبعد أن تفحّص القصر تماما ، والمنطقة المحيطة به ، عاد إلى الفتاة التي ماتزال جالسة في سيارتها ، ويدها على عجلة القيادة ، ليجلس إلى جوارها قائلا :

ـ والآن جاء دورك .. تذكرى ما قلته لك جيدا .

ازدردت الفتاة لعابها ، قائلة :

ـ إننى خائفة .

قال (ممدوح) ، محاولا بعث الثقة في نفسها :

ـ قلت لك : لاتخافى مادمت معك .. ألم تعلنى رغبتك فى مساعدتى ، والانتقام ممن أرادوا الغدر بك ؟

أجابته ، وفى صوتها رنة خوف حقيقى :

ـ نعم .. ولكنهم لن يرحمونى ، إذا ماكشفوا خيانتى لهم .

ممدوح :

ـ لو نفذت ما قلته لك ، فلن يكشفوا أى شىء بشأنك ، قبل أن أصل إليك .. إنك ستخبرينهم بأننى تخلصت من الرجلين ، اللذين

أرسلوهما لقتلى ، وأنك هربت من المكان سريعًا ، قبل أن أتحول إليك أيضًا ، وجئت إلى هنا لتخبريهم بما حدث .

قالت بصوت متردد :

ـ ولكن إذا عرفوا ...

قاطعها (ممدوح) قائلًا :

ـ ممن سيعرفون .. الرجلان قُتلا ، وعندما يذهبون إلى ذلك المنزل ، لن يجدوا سوى جثتين ، وهذه هى الحقيقة التى ستخبرينهم بها ، فالأموات بالطبع لايتكلمون .

سيمون :

ـ ولكنهم يرتابون فىَّ بالفعل .

ممدوح :

ـ اذا كانوا يرتابون فيك ، فهذا يعنى أنهم سيبقون عليك لبعض الوقت ، حتى يكشفوا حقيقتك ، كما أنك مازلت بالنسبة لهم الطعم ، الذى قد يفكرون فى استخدامه مرة أخرى لاصطيادى ، مادامت خطتهم لم تفلح معى هذه المرة ، خاصة وأنك ستظهرين أمامهم بمظهر برىء تمامًا ، لاينم عن معرفتك بمحاولتهم الغدر بك . وكل المطلوب منك بعد ذلك هو أن تبحثى عن ذلك المكان ، داخل القصر ، الذى يحتفظون فيه بالملف السرى ، الذى يحوى أسماء أعضاء شبكة التجسس الأوربية .

وأخرج من جيبه جهازًا صغيرًا ، فى حجم غطاء زجاجة مياه غازية ، ليقدمه لها مستطردًا :

ـ ثم تضعين هذا الجهاز الدقيق فى مكان خفى من الغرفة ، واحرصى على أن تحتفظى به بعيدًا عن متعلقاتك الشخصية ، لأنهم لابد سيفتشونها ، وبعد ذلك غادرى الغرفة ، ودعى لى الباقى .

سألته قائلة :

ـ ولكن كيف ستخرجنى من هناك ؟

ممدوح :

ـ سأبدأ عملى فى الواحدة بعد منتصف ليلة الغد ، ويجب أن تعملى على أن تكونى ، بعد ربع ساعة من هذا الموعد ، بالقرب من الغرفة ، التى حددتها ، حيث يحتفظون بالملف السرى ، وبأية وسيلة ، وسأعمل على الهروب بك من هناك .

هزت رأسها غير مقتنعة ، وهى تقول :

ـ ليس الأمر بمثل هذه السهولة ، التى تحاول أن تصوّرها .. إن لهم عيونًا فى كل مكان ، داخل هذه القلعة الحصينة .

ممدوح :

ـ ولكنك برتبة ملازم ، وكثير من هذه العيون من رجال الحراسة والرتب الصغيرة ، مازالوا ينظرون إليك على أنك ذات سلطان ، وموضع ثقة حقيقية ، وهذه نقطة فى صالحك ، ستتيح لك حرية الحركة ، وتنفيذ ماطلبته منك ، إذا مانجحت فى استخدامها .

صمت برهة ، ثم قال :

ـ حسنا .. إذا كنت خائفة ومترددة ، فلا داعى للذهاب إلى هناك . سأتولى الأمر بنفسى ، وإن كانت المجازفة فى هذه الحالة ، أكبر ونسبة النجاح ضعيفة .

قالت الفتاة ، بعد لحظة من التردد ، وقد عقدت النية :

ـ بل سأذهب ، فأنا مصممة على الانتقام من هؤلاء الملاعين ، الذين أرادوا الغدر بى ، بعد إخلاصى لهم .

ثم أردفت قائلة ، وقد ازداد تصميمها :

ـ سأذهب حتى لو كان فى ذلك نهايتى .

ربت (ممدوح) على كتفها ، وعلى وجهه ابتسامة تشجيع ، قائلا :

ـ وأنا لن أتخلى عنك ، وأرجو لك النجاح .

وغادر السيارة ، تاركا الفتاة تواصل طريقها متجهة إلى القصر ..

* * *

بدت نظرة الدهشة واضحة ، على وجه الكولونيل (جوساف) ، وهو ينظر إلى الفتاة قائلا :

ـ كيف حدث هذا ؟

قالت الفتاة بثبات :

ـ كما أخبرتك ياكولونيل .. لقد تمكن هذا الرجل من الرجلين اللذين أرسلتهما ، كما تمكن من (لوبال) من قبل .

قال (جوساف) ، وفى صوته رنة تعجب :

ـ إنهما من أكفأ رجال المخابرات الاسترتانية .

صمتت الفتاة برهة من الوقت ، ثم قالت :

ـ من الواضح أنه يفوقهما كفاءة .. على كل لقد أديت دورى ، ونفذت ما أمرتنى به بالضبط ، فاستطعت أن أجذبه إلى ذلك المكان ، ولو طلبت منى التصدى له وقتله لما تراجعت ، ولكن الأوامر كانت صريحة ، بأن أترك هذا الأمر للرجلين اللذين أرسلتهما الإدارة ، فلم يكن بوسعى إزاء ذلك سوى الهرب ، والعودة إلى مركز التدريب .

تأملها بنظرة فاحصة ، قائلا :

ـ وماذا عنه ؟.. ألم يحاول التعرض لك ، ليمنعك من الهرب ؟

أجابته قائلة :

ـ كلا .. فقد كان مشغولا بصراعه مع الرجلين ، فانتهزت الفرصة وهربت .

سألها قائلا :

ـ وكيف عرفت إذن أنه نجح فى التخلص منهما ، مادمت تقولين إنك هربت فى أثناء صراعه معهما .

قالت (سيمون) ، دون أن تفاجأ بالسؤال :

ـ لقد راقبت الموقف لحظة قبل هروبى ، ورأيته يقضى عليهما ، فوليت هاربة ، قبل أن يبدأ فى البحث عنى ..

جوساف :

ـ وما الذى تحدث إليك به ، قبل كشفه لوجود الرجلين ؟

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ لاشىء ذا قيمة .. بعض المغازلات .. لم يبد أنه يسعى وراء شىء ، ولم يحاول أن يلقى على أسئلة تشير إلى معرفته لحقيقة شخصيتى ، كما أننى لم أستشف من خلال أسئلتى له أى شىء يكشف عن حقيقة شخصيته ، وأعتقد أن هذا سر براعته .

تأمّلها (جوساف) ، قائلًا :

ـ يبدو أنك مازلت معجبة به .. خاصة بعد أن توطّدت الصلة بينكما .

قالت فى شىء من التحدى :

ـ لاأستطيع أن أنكر ذلك ... إذا كنت تقصد بالإعجاب الناحية المهنية ، فإذا ثبت أن هذا الرجل يعمل لحساب أحد أجهزة المخابرات المعادية ، فهو عميل ممتاز بلا شك .

قال وهو يرمقها بنظرة فاحصة :

ـ حسنا .. يمكنك أن تنصرفى الآن .

استدارت الفتاة مغادرة الغرفة ، فى حين سارع (جوساف) بتناول سماعة التليفون ، للاتصال بالجنرال (باروخ) ، وإخباره بما حدث ..

وليتلقّى التعليمات الجديدة منه ..

★ ★ ★

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة وعشر دقائق ، عندما أوقف (ممدوح) سيارته ، بالقرب من شاطىء البحر ، ونظر فى ساعته ؛ للتأكّد من دقة الوقت تمامًا ، فقد أخبرته (سيمون) أن نوبات الحراسة حول القصر تتم كل أربع ساعات ، وبالتالى فلم يعد باقيًا على تغيير نوبة الحراسة سوى عشرين دقيقة فقط ، عليه استغلالها ؛ للوصول فى الوقت المناسب .. وبسرعة .

نزع ثيابه ؛ ليرتدى ملابس الغوص بدلًا منها ، حاملًا معه حقيبة جلدية ، تحتوى على معداته ، وجهازًا صغيرًا ، حمله فى يده الأخرى ، وعاد ينظر فى ساعته مرة أخرى ، وهو يحسب الدقائق والثوانى المتبقية ، ثم ألقى بنفسه فى الماء البارد ، وظل يسبح أسفل الماء والحقيبة والجهاز الإلكترونى الصغير فى يده ، ولكنه سُرعان ماتوقّف عن السباحة ، بعد أن أصبح على مسافة قريبة من القصر .. إذ صدرت عن الجهاز الإلكترونى ذبذبات سريعة متتالية ، وأخذ يومض ومضات متقطعة ، ونظر (ممدوح) حوله متعجبًا ، فلم تكن هناك أجهزة إنذار إلكترونية فى هذه المنطقة من الأعماق ، كما تدل على ذلك ذبذبات الجهاز وومضاته الإلكترونية .. فهذه الومضات الحمراء تعنى أنه مايزال فى خط الأمان ، ولكن أى خطأ ـ ولو صغير ـ يجعله يصطدم بجهاز للإعاقة الإلكترونية ، أو يقترب من أجهزة إنذار خفية ، سيترتب عليه ازدياد الذبذبات ، وتحول

هذه الومضات الحمراء إلى اللون الأصفر ، وهو مايعنى أنه قد تخطى خط الأمان ، وانكشف أمره ..

لقد عمل الإسترتانيون حسابهم لكل شىء ، وبثوا أجهزة إنذار إلكترونية فى الماء ، بالقرب من المنطقة المحيطة بالقصر ، كى يمنعوا أية محاولة للتسلل عن طريق البحر ، تمامًا كما توقع ، لكن المشكلة أين توجد أجهزة الإنذار هذه ، وكيف يتسنى له اختراقها ؟..

ونظر (ممدوح) فى ساعته ، وقد انتابه القلق ..

هل يعود من حيث أتى ، ويرجئ الأمر لمحاولة أخرى ؟..

هل يحاول الوصول إلى القصر ، عن طريق البر ؟..

ولكن لابد أنه هناك أجهزة إعاقة أخرى أشد تعقيدًا ، بالنسبة لدخيل مثله ، والوقت يمر سريعًا ، وعلى فرض مخاطرته باجتياز خط الأمان ، بالنسبة لأجهزة الإنذار المبكر الالكترونية ، دون أن تكون هناك وسائل معدة لتدميره ، فى حالة قيامه بهذه المخاطرة ، فإن التردد والانتظار سيجعله يصل بعد الموعد المحدد لتغيير الحرس ، وهو مايعنى كشف أمره ، والقضاء عليه حتمًا .

أتكون مهمته قد انتهت بالفشل ، عند هذا الحد .. وأصبح يتعين عليه أن يعود من حيث أتى ، وفقًا لتعليمات اللواء (مراد) ؟!

ولكنه لم يعتد الاعتراف بالفشل ، خاصة وأنه مايزال فى البداية ..

وأحس (ممدوح) بالحيرة ، وهو يدور حول نفسه فى الماء ، وفجأة تعالى أزيز الجهاز الإلكترونى فى يده ..

الخطر يقترب ..

ولكن أين هو ؟..

ولمح (ممدوح) من وراء عدسة الغوص الزجاجية ، التى يضعها على عينيه ، مرور ثلاث سمكات بالقرب منه ، سابحة بسرعة غير عادية ، وقد بدا مظهرها غريبًا بعض الشىء ، وسرعان ما انتبه للأمر ...

هذه الأسماك ليست أسماكًا حقيقية ، بل هى تبدو هكذا ، فى مظهرها فقط ، ولكنها فى الواقع أجهزة إنذار مبكر ، على شكل أسماك بحرية ، وهى مصممة على هذا النحو ؛ لكى ينخدع بها أولئك الأشخاص ، الذين يحاولون التسلل إلى القصر ، عن طريق البحر ، ومجهزة بحيث تعطى إنذارًا مبكرًا للقائمين على حراسته ، لدى اصطدامها بأى جسم آدمى ، يسبح فى هذه المنطقة ، فلو كانت إحداها قد اصطدمت بجسد (ممدوح) ، لكشفت حقيقة أمره ، ولكن لحسن حظه أنها مرت إلى جواره ، دون أن تصطدم به ، على الرغم من أن ذراعه كاد يصطدم بإحداها ، ولحسن حظه أيضًا أنه تنبه لحقيقتها ، فبلا شك هناك عشرات أخرى غيرها ، وخاصة بالقرب من المنطقة التى تحف بحدود القصر ، واصطدامه بأى منها سيؤدى إلى كشف أمره ، وإبادته على الفور ..

وأصبح من المتعيَّن عليه أن يعتمد على جهازه الالكترونى الكاشف لأجهزة الانذار ، لكى يحميه أزيزه من اصطدامه بإحدى هذه الأسماك الخادعة ، كما يتعين عليه أيضا أن يواصل سباحته ببطء ، وحتى لاتؤدى به السرعة ، أو الحركة الخاطئة ، إلى التعرض المفاجى لإحدى هذه الأسماك ، فيتحدد موقعه ، لدى القائمين على حراسة القصر .

ونفذ (ممدوح) خطته ، فأخذ يسبح بهدوء ، معتمدًا على جهازه الإلكترونى ، فى فرز الأسماك الحقيقية من الأخرى الخادعة ، المزوَّدة بأجهزة الإنذار ، وكادت بعضها تصطدم به ، لسرعتها غير المألوفة ، ولكنه تفاداها بمهارة ، ومالبث أن وصل إلى الضفة الأخرى ، حيث أطل برأسه فوق سطح الماء ، قبل موعد تغيير نوبة الحراسة بدقيقة واحدة ..

وفى الثانية عشرة والنصف تمامًا ، خرج (ممدوح) من الماء ، صاعدًا إلى المنطقة العشبية المحيطة بالقصر ، وقد أعدَّ خطته ، على أساس أن الواجهة الخلفية للقصر ستكون خالية من الحراسة ، لمدة دقيقتين على الأكثر ، وقد كانت هذه الفترة فى تقديره كافية ، بالنسبة للتحرك السريع .

مع شىء من حسن الحظ ..

* * *

١٠ ـ الملف السرى ..

ظل (ممدوح) راقدًا على صدره ، وهو يراقب الحراس فى أثناء رحيلهم ، واستعداد المجموعة الأخرى من الحراس لاحتلال أماكنهم .

ومالبث أن نهض سريعًا ، ليركض بخطوات حذرة ، متجهًا نحو الأسلاك الشائكة المحيطة بالقصر ..

كانت الأسلاك متصلة بموجات كهربائية صاعقة ، كفيلة بصعق من يلامسها ، والقضاء عليه فى الحال ؛ لذا فقد وضع (ممدوح) آلة صغيرة (أخرجها من الحقيبة الجلدية التى أحضرها معه) أشبه بـ(الكوريك) المخصص لاستبدال عجلات السيارة ، ووضعه أسفل السلك الشائك القريب من الأرض العشبية ، بحيث لايلامسه تمامًا ؛ ثم تناول من الحقيبة أيضًا جهازًا صغيرًا ، مخصصًا للتوجيه عن بعد (ريموت كونترول) ، وأخذ يضغط أزرار الجهاز ، وهو على مسافة نصف متر من الأسلاك ، فيتحرَّك بالتبعية الذراع المعدنى للآلة الرافعة ، تحت السلك الشائك ، وكلما ضغط (ممدوح) الزر ، ازداد الذراع ارتفاعًا ، ليدفع السلك معه إلى أعلى ، وقد تطايرت من حوله شرارات كهربائية ، واستمر (ممدوح) فى الضغط على الزر ، ليزداد الذراع ارتفاعًا

إلى أعلى ، دافعًا معه السلك الشائك إلى أعلى أيضًا ، وبالقدر الذى سمح بوجود فجوة صغيرة ، لمرور جسد ملاصق بالأرض .

وعلى الفور رقد (ممدوح) على ظهره ، وأخذ يزحف ، وهو على هذا الوضع ، مجتازًا الأسلاك الشائكة ، وقد حبس أنفاسه ، إذ لم يكن يفصل بينه وبين السلك الصاعق سوى سنتيمتر واحد ، وأى خطأ بسيط فى الحركة ، أو فى طريقة زحفه ، كانت كفيلة بالقضاء عليه فى الحال ، وما أن اجتاز السلك الشائك ، حتى اندفع يركض نحو جدار القصر الخلفى ، وألصق نفسه بالجدار ، مخرجًا جهازًا آخر من حقيبته ، استطاع على ضوء الإشارات الصادرة منه ، والتى تلتقط ذات الإشارات ، من الجهاز الذى ضمه للفتاة (سيمون) ، تحديد موقع الغرفة التى تحتوى على الملف السرى .

كان الظلام حالكًا فى المكان ، فيما عدا بعض الإضاءة البسيطة الموزعة فى أماكن متفرقة تحيط بالقصر ، وأخذ (ممدوح) يقترب من المدخل الرئيسى للقصر ، وهو يتحرك ملتصقًا بالجدار تمامًا ، وعلى بعد عدة أمتار قليلة من المدخل ، كمن فى مكانه ، وهو يراقب مجموعة من الحرس ، فى طريقها لاحتلال مواقعها ، ورأى أحدهم ينفصل عن بقية المجموعة ، ليمد يده بين مجموعة الشجيرات الصغيرة ، المحيطة بجدار القصر ، وقد أخذ يدير عجلة إليكترونية صغيرة ذات أرقام ، ومتصلة بصندوق معدنى صغير ، يختفى وراء هذه الشجيرات .

وعلى الفور انفتح باب معدنى أمام المدخل ، وتقدم على الأثر ثلاثة رجال آخرون من الحراس ، ليجتازوا المدخل ، فى حين عاد الرجل ليدير العجلة الرقمية المتصلة بالصندوق ؛ ليغلقه خلفهم .. ثم تابع سيره ليلحق بالآخرين .

وكان (ممدوح) قد تمكن على الرغم من الظلام المحيط بالمكان ، وبوساطة عدسة مخصصة للرؤية الليلية ، ثبتها فوق إحدى عينيه ، من قراءة الأرقام التى حركها الرجل ، بوساطة العجلة الدائرية ، والتى تمكن بوساطتها من فتح الباب الرئيسى لمدخل القصر .

وعلى الفور ترك (ممدوح) مكانه ، واندفع بكل جرأة نحو الصندوق المعدنى ، ومستعينًا بذاكرته القوية ، أخذ يحرك العجلة الرقمية ، وفقًا للأرقام التى قرأها ، والتى احتفظ بها فى ذاكرته ، وهو ينظر خلفه من آن لآخر ، ترقبًا لبروز أحد الحرّاس له فجأة ..

كان المدخل مظلمًا تمامًا ، فأخرج (ممدوح) مصباحًا ضوئيًا ، اهتدى على ضوئه إلى قاعة كبيرة ، حيث لمح ثلاثة أشخاص يتبادلون التحية ، قبل أن ينصرف كل منهم إلى جهة مختلفة .

وانتظر (ممدوح) حتى ابتعد الأشخاص الثلاثة ، ثم تقدم على أطراف قدميه ، حتى وصل إلى السلم الحلزونى ، المؤدى إلى الطابق الأول ، مستعينًا بالجهاز الذى يحمله ، والذى

يقوده إلى المكان الذى حددته له الفتاة؛ للعثور على الملف ..

واتجه (ممدوح) إلى اليسار ، وسار فى الرواق الطويل الممتد أمامه ، وقد ازدادت الإشارات فى جهازه وضوحًا ، حتى رأى السهم الضوئى الصغير فى الجهاز يشير إلى الجهة اليمنى ، حيث وجد بابًا مغلقًا إلى يمينه ، وهم بتحريك أكرة الباب ، ولكنه سرعان ماتوقَّف عن المحاولة؛ لأنه مادامت الغرفة تحتوى على مستند سرى هام كهذا ، فلابد أن الباب مزوَّد بأجهزة إنذار خفية ، سرعان ماتنطلق بمجرَّد محاولته فتحه ..

وعاد لاستخدام جهازه الإليكترونى ، الكاشف لأجهزة الإنذار ، والذى سبق له استخدامه فى أعماق البحر .. حيث أخذ يمرِّره أمام الباب بطريقة رأسية وعرضية ، وسرعان ما انطلقت الذبذبات من الجهاز ، والإشارة الضوئية الحمراء ، لدى اقترابها من أحد أجزاء الباب ، لتكشف عن جهاز إنذار دقيق ، من نوع غير مألوف ؛ حتى أنه يدخل كجزء من أحد أضلاع الباب الخشبى ..

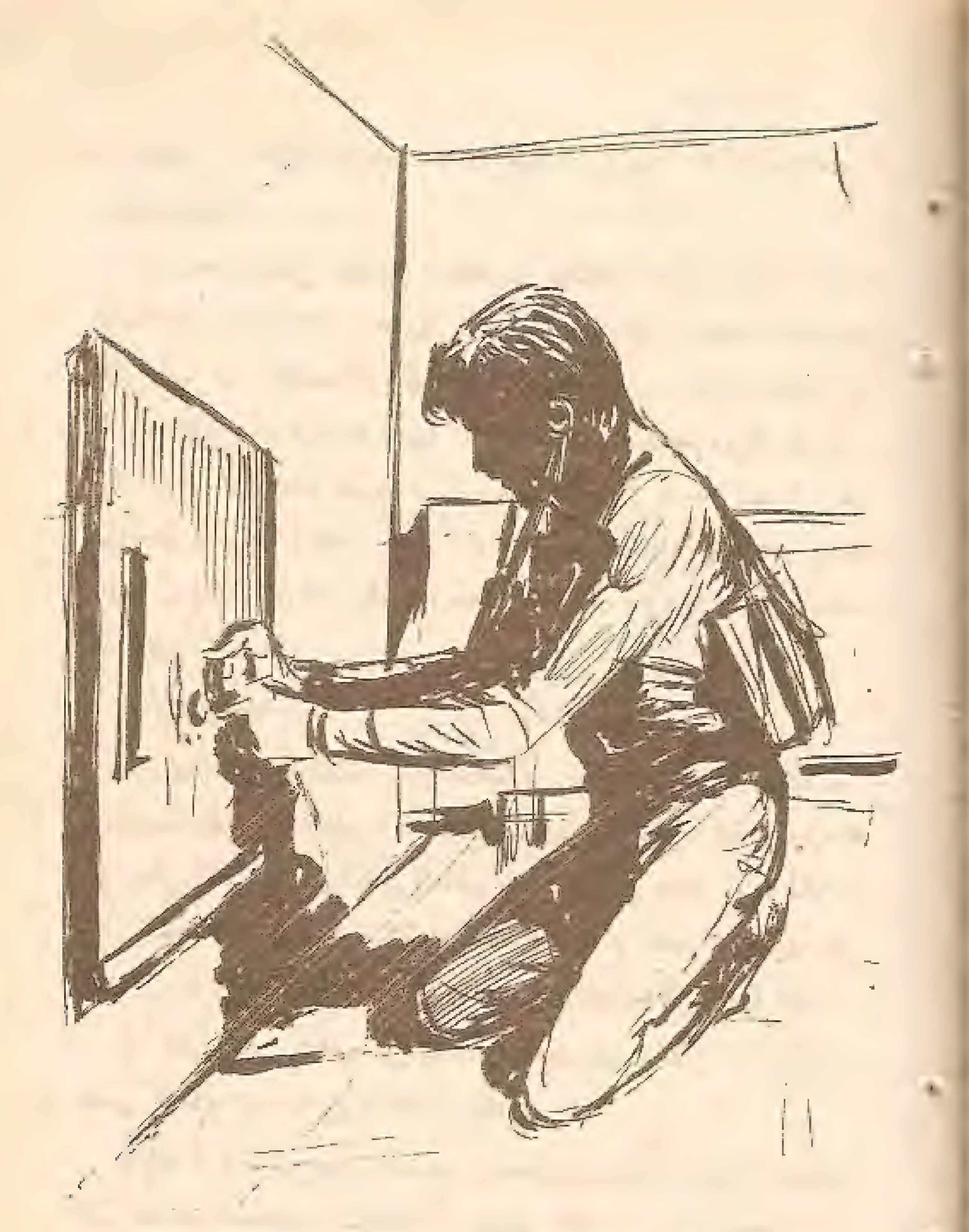
ووجد (ممدوح) صعوبة فى التخلص من هذا الجهاز ؛ لدقته وعدم معرفته لطريقة تعطيله عن العمل ، فقرَّر استخدام المخاطرة فى التخلص من هذا الجهاز ، إزاء ضعف خبراته التكنولوجية فى إفساده ، وتعطيله عن العمل ؛ لذا فقد قام بعمل

قطع رأسى من الجهتين ، للضلع الخشبى الذى يحتوى على الجهاز الإليكترونى بوساطة آلة حادة يحملها فى يده .

ثم دفع حرف الآلة الحادة وراء الضلع الخشبى ، وأخذ يحرِّكها ببطء ، حتى ظهرت له الأسلاك الرفيعة ، المتصلة بجهاز الانذار ، والممتدَّة بين ثنايا الخشب ذاته ، فقام بفصل هذه الأسلاك بعناية عن الجهاز ، ليقطع الدائرة الإلكترونية ، وعندما انتهى كان العرق يتصبَّب من وجهه غزيرًا ، ولكنه قام بتحريك أكرة الباب ، ليجده مغلقًا ، فعاد لاستخدام إحدى أدواته ، التى أحضرها معه فى الحقيبة الجلدية ، ليعالج الباب ، ويقوم بفتحه ، وقد اطمأن بشأن جهاز الانذار هذه المرة .

كما أن الأمر كان أقل صعوبة بالنسبة له ، عن معالجة جهاز الانذار الإلكترونى ، وخلال دقيقة واحدة ، كان قد تمكَّن من فتح الباب ، حيث اندفع (ممدوح) إلى الداخل ، وهو يغلقه خلفه .

ووجد خزانة فولاذية مغلقة ، فى أحد أركان الغرفة ، فقام مرة أخرى بتمرير الجهاز الإلكترونى ، للتأكد من عدم اتصالها بأية أجهزة للإنذار ، ولكنها كانت خالية من أية ذبذبات إلكترونية ؛ وهنا فتح (ممدوح) حقيبته ، ليخرج منها سماعة تشبه سماعة الطبيب ، ووضعها فى أذنيه ، وقام بالإمساك ببوق صغير ، يتصل بالسماعتين بوساطة أنبوب مطاطى صغير ، ليثبته على الدائرة الرقمية للخزانة ، وهو يديرها بدقة وبطء .



واستمر فى إدارة الدائرة الرقمية ، وهو يسجّل على ورقة صغيرة الأرقام التى تحدث صوتا معينا ، تلتقطه أذناه ..

واستمر فى إدارة الدائرة الرقمية ، وهو يسجّل على ورقة صغيرة الأرقام التى تحدث صوتا معينا ، تلتقطه أذناه .

وما أن انتهى من تسجيل الأرقام ، حتى قام باستخدامها مرة أخرى ، وفقا لترتيبها المدوّن على الورقة ، ثم أدار أُكرة الخزانة ، لتفتح أمامه ، كاشفة عن مجموعة من الأوراق والملفات ، أخذ يفحصها وهو يقلبها سريعا ، حتى وجد ملفًا أزرق ، عليه عبارة «سرى للغاية» .. «أعضاء التنظيم السرى للعملاء الأجانب» ..

كان هو الملف المنشود ، ولم يعد متبقيا أمامه سوى تصوير صفحاته ، وتسجيل أسماء أعضاء التنظيم ، أو شبكة التجسس المعادية ، وأخرج آلة التصوير الصغيرة ، التى أحضرها معه ، وأخذ يعمل على تصوير صفحات الملف .

وما أن انتهى حتى أعاد الملف إلى مكانه ، فى ترتيبه الصحيح بين الملفات الأخرى ، ثم سارع بمغادرة الغرفة ، بعد أن استرد الجهاز الدقيق ، الذى وضعته الفتاة ، لارشاده لمكان الملف ، وأعاد تثبيت جهاز الانذار المتصل ببابها فى مكانه الأول ، وإغلاقها على النحو الذى كانت عليه ، حتى لايكتشف أحد اقتحامه للغرفة .

ونظر فى ساعته ، وتلفت حوله بحثا عن الفتاة ..

كان قد غادر الغرفة فى الساعة المحدودة تماما ، ولكنها لم تكن موجودة ؛ فظل يتلفت حوله فى الرواق المظلم ، وهو يأمل

أن تظهر له فجأة ، ولكن لم يبد لها أدنى أثر ، مما جعل فكره يعمل سريعا ..

لقد حصل على الصور المطلوبة للملف السرى ، وإذا كانت الفتاة قد ساعدته فى تحقيق ذلك ، فإنه يتعين عليه مساعدتها على الهرب ، خاصة لو اكتشفوا خيانتها لهم ، مع ما يمكن أن يترتب على ذلك من تعرضها لأذى بالغ من جانبهم ، وهو لم يكن ليتراجع عن هذه المساعدة ، والوفاء بوعده لها ، إذا ما انتظرته وفقًا لاتفاقه معها ، ولكنها لم تحضر ، وواجبه يحتم عليه أن يغفل أى أمر آخر ، ويسرع بالهرب ، ومعه صور الملف السرى .

وقال لنفسه .

- ربما عجزت الفتاة عن الحضور ، نتيجة للرقابة المشدّدة ، وخاصة بعد أن خاطرت بوضع الجهاز الدقيق ، الذى سلمته لها ، فى الغرفة التى تضم الملف ، وربما كان هناك شىء أخّرها عن الحضور ، بل ربما كشفوا أمرها ، فتم القضاء عليها فى الحال ، أو وضعها فى أحد السجون ، وربما يحقق معها الآن ..

أيًا كان الأمر ، فهو لن يستطيع فعل شىء الآن .. عليه أن ينسى الفتاة ، ويسارع بمغادرة القصر ..

ونفذ قراره سريعا ، فاندفع يهبط السلم الحلزونى ، المؤدى إلى القاعة السفلية ، متجهًا إلى مدخل القصر ، ولكن فجأة سمع صوتًا يصرخ فيه قائلا :

- قف مكانك .

واستدار (ممدوح) ليرى نفسه فى مواجهة رجل يحمل مدفعًا رشاشًا ، وقد صوَّب فوهته فى اتجاهه ، فى حين أخذ يسير نحوه بخطوات بطيئة ، وعيناه تنطقان بالشرر ..

وكان الموقف دقيقًا ..

وحاسمًا .

* * *



١١ ـ الهروب الدامى ..

قال الرجل فى غلظة :

ـ من أنت ؟ وماذا تفعل هنا ؟

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ جئت لرؤية ذلك القصر العظيم .. يقال : إن له تاريخًا أثريًا .

قال الرجل بلهجة عنيفة :

ـ تقدم أمامى ، رافعًا يديك إلى أعلى .

نفذ (ممدوح) ما أمره به الرجل ، حيث تقدم أمامه ويداه مرفوعتان عاليًا ، وبعد عدة خطوات برز شخص آخر ، تطلع إلى (ممدوح) وهو لايقل دهشة عن زميله ، قائلًا :

ـ من هذا ؟

أجابه الرجل الشاهر السلاح ، قائلًا :

ـ لقد وجدته فى القاعة السفلية ، وهو يستعد لمغادرة القصر .

قال زميله ، وقد ازدادت دهشته :

ـ وكيف دخل إلى هنا ؟

رد عليه الرجل الشاهر السلاح ، قائلًا :

ـ سنعرف هذا ، عندما نقدمه للكولونيل (جوساف) .

ثم لكز (ممدوح) بماسورة مدفعه فى ظهره ، قائلًا :

ـ هيا تقدم أمامى .

ولكن زميله استوقفه قائلًا ، وهو ينظر إلى الحقيبة الجلدية ، التى يلتف حزامها حول كتف (ممدوح) :

ـ انتظر .. دعنى أفحص هذه الحقيبة أولًا .

وأمر (ممدوح) بخفض يده ، ليتناول الحقيبة ، وهو يجذب حزامها من فوق كتفه .

وتظاهر (ممدوح) بخفض يده ببطء ، ولكنه ضرب براحته ، فى قوة وسرعة على موقع معين من جسم الحقيبة .. فانطلق من قاعدتها السفلية سهم رفيع ، ذو رأس سامة ، استقر فى أمعاء الرجل الواقف خلفه ، فجحظت عينا الرجل وسقط منه سلاحه فى حين وضع يديه على معدته ، وتحشرج صوته ، وهو يترنح ، قبل أن يهوى صريعًا على الأرض .

واستغل (ممدوح) عنصر المفاجأة ، فعاجل الرجل ، الذى حاول أخذ حقيبته ، بلكمة قوية فى فكه ، أتبعها بتناول المدفع الآلى ليضربه بمؤخرته المعدنية فى وجهه ، مطيحًا به نحو الجدار ، وقبل أن يتمالك الرجل نفسه ، ويبدأ فى اتخاذ أى رد فعل ، كان (ممدوح) قد ألصق فوهة المدفع برأسه ، قائلًا بلهجة صارمة :

ـ لو صدر منك أى صوت أو حركة ، فلن أتوانى فى الإطاحة برأسك على الفور .

قال له الرجل بصوت متحشرج ، وهو ينظر إليه بعينين مذعورتين :

ـ سأنفذ ماتريده .

ممدوح :

ـ أين الفتاة الفرنسية ؟

قال الرجل ، وهو يزدرد لعابه بصعوبة :

ـ أية فتاة فرنسية ؟

ممدوح :

ـ الملازم (سيمون) .. الوحدة السادسة من مجموعة التدريب .

قال الرجل :

ـ لاأعرف .. غالبا فى غرفتها الآن .

نظر (ممدوح) إلى عينيه نظرة ثاقبة ، قائلا :

ـ أنت تكذب .

قال الرجل ، وهو يعاود إزدراد لعابه :

ـ كلا .. هذه هى الحقيقة .

قال (ممدوح) ، وهو يضغط بفوهة المدفع على جبهته :

ـ عيناى لاتخطئان الكاذبين أمثالك .. المفروض ألاتكون فى غرفتها الآن ، فإن لم تقل الحقيقة ، فسوف أخرس لسانك الكاذب هذا إلى الأبد .

نظر الرجل إلى فوهة المدفع ، التى تضغط على جبهته ، وعيناه تنطقان بالخوف ، ثم قال بعد تردد :

ـ إنها .. إنها مسجونة .. لقد أصدر الكولونيل (جوساف) أمرًا بوضعها فى السجن اليوم .

ممدوح :

ـ وأين هو السجن ؟

أجابه الرجل :

ـ فى النور العلوى ..

ممدوح :

ـ حسنا .. ستأتى معى ، لأنها لو لم تكن موجودة ، فى المكان الذى أخبرتنى به ، فسوف أترك جثتك هناك .

تقدم الرجل خطوتين أمام (ممدوح) ، وقد تصبب منه العرق ، ثم مالبث أن توقف ، وهو يستدير قائلا :

ـ كلا .. سأذكر لك الحقيقة .. إنها فى زنزانة تحت الأرض .

قال (ممدوح) :

ـ كما توقعت فإنك تستمرئ الكذب .. أين هذه الزنزانة ؟

استدرك قائلا :

ـ تذكر أن تكون صادقا معى هذه المرة ، فأنا أضيق ذرعا بالكذب والكذابين من أمثالك .

أشار له الرجل إلى إحدى الغرف ، قائلا :

ـ هذه الغرفة بها مدفأة ، ولكنها لاتستخدم للتدفئة ، إذ أنها مزودة بمصعد ، يقود إلى عدة زنازين تحت الأرض ، تستخدم لحساب المخابرات (الأسترتانية) .

ممدوح :

ـ حسنًا .. ستقودنى إليها .. هيا تقدّم أمامى .

أطاع الرجل ما أمره به (ممدوح) خائفًا ، فتقدّمه إلى إحدى الحجرات ، التى كان يلفها الظلام ، حيث قدم له (ممدوح) مصباحه الضوئى ، ليحدّد مكان المدفأة ، التى كانت بها بعض بقايا الأخشاب ، توحى بمظهر مدفأة حقيقية ، وتقدّم الرجل ليجثو فوقها على قدميه وركبتيه ، وتبعه (ممدوح) فى ذلك ، دون أن يتخلى عن سلاحه ، وقام الرجل بالضغط على زر خفى فى المدفأة ، فتحركت لتهبط بهما أسفل أرض الحجرة ، وتقدم الرجل (ممدوح) فى ممر طويل مظلم ، وهو يرسل أمامه خيطًا رفيعًا من الضوء ، بوساطة المصباح الضوئى ، الذى قدمه له (ممدوح) ، وفجأة أطفأ الرجل المصباح الضوئى ، واستدار محاولًا مهاجمة (ممدوح) ، مستغلًا عنصر الظلام ، ولكن (ممدوح) عاجله بضربة قوية فى وجهه ، من مؤخرة المدفع ، أتبعها بضربة أخرى على رأسه ، هوى على إثرها فاقدًا الوعى ، وبدا أن الجلبة التى أحدثها صراع (ممدوح) مع الرجل قد نبهت آخرين إلى وجود شىء غير عادى ، فنادى أحدهم قائلًا :

ـ ما هذا ؟ ما الذى يحدث هنا ؟

ولمح (ممدوح) ذلك الشخص ، الذى كان يرتدى ثيابًا عسكرية ، وهو يحمل مصباحًا غازيًا فى يده ، متجهًا نحو

الممر ، فاستند إلى الجدار حتى دنا منه الرجل ، ثم وجه ضربة قوية بمؤخرة المدفع إلى مصباح الغاز ، فحطمه على الفور ، واستغل عنصر المباغتة ، ليوجّه ضربة أخرى إلى وجه الرجل ، إنهار على إثرها فاقدًا الوعى بدوره ، واندفع اثنان آخران لاستكشاف الأمر ، وهما مزوّدان بالسلاح ، ولمح أحدهما (ممدوح) فصوّب إليه رصاصة عاجلة من مسدسه ، ولكن (ممدوح) سارع بالقفز على الأرض ، متفاديًا الرصاصة ، وتمدّد (ممدوح) على الأرض ، ومعه مدفعه ، ليصوّب منه عدة رصاصات فى اتجاه الرجل ، فأرداه قتيلًا على الفور ، وحاول الآخر إطلاق رصاص سلاحه . ولكن (ممدوح) أطلق رصاصتين على يده ، فسقط منه سلاحه ، وهو يطلق صرخة عالية ، واندفع إليه (ممدوح) قائلًا :

ـ أين الزنزانة التى وضعتم فيها الملازم (سيمون) ؟

قال الرجل ، وهو يمسك يده الجريحة :

ـ فى نهاية الممر .

سأله ممدوح :

ـ وأين مفاتيحها ؟

ـ نظر إلى زميله الملقى على الأرض ، قائلًا :

ـ إنها مع زميلى .

وتراجع (ممدوح) ثلاث خطوات إلى الوراء ، وهو يصوّب سلاحه إلى الحارس ، دون أن يرفع عينيه عنه ، ثم جثا على

إحدى ركبتيه ، وهو مستمر فى تصويب سلاحه ، فى حين أخذت يده الأخرى تفتش عن المفاتيح ، حتى عثر عليها ، وتناولها سريعًا ، ليقذف بها إلى الرجل الواقف فى مواجهته ، قائلا بصوت آمر :

- حسنًا .. تقدمنى إلى الزنزانة .

نفذ الرجل ما أمره به (ممدوح) ، فصحبه إلى زنزانة تقع فى نهاية الممر ، حيث كانت (سيمون) واقفة ، ويدها قابضة على القضبان ، بعد أن تنبهت لضجيج المعركة ، التى حدثت بين (ممدوح) وحراس السجن ، وكانت فى حالة يرثى لها ، وقد تهدل شعرها ، وبدت ملامح التعذيب واضحة على وجهها ، وما أن رأته حتى تهلّل وجهها ، وهتفت قائلة :

- (جلسياس) .. حمدًا لله .

تقدم (ممدوح) ليفتح باب الزنزانة ، وهو يدفع الرجل بداخلها ، وسألته قائلة :

- كيف تمكّنت من الوصول إلى هنا ؟

قال (ممدوح) :

- لقد وعدتك بأن أساعدك على الهرب من هذا المكان ، وعلى كل .. ليس هذا هو المهم ..

المهم أن نغادر ذلك القصر الملعون على الفور ..

هيا ساعدينى على وضع الآخرين داخل الزنزانة .

ساعدته الفتاة على جر الرجلين الآخرين إلى الزنزانة ، لكن

فى أثناء مساعدتها فى جر أحدهما ، أطبقت يد الشخص ، الذى ساعد (ممدوح) فى الهبوط إلى مقر السجن ، على قدمها ، وقبل أن يتنبه (ممدوح) للأمر ، كان الرجل قد وضع سكينًا حادة فوق عنقها ، وأطلقت الفتاة صرخة قصيرة ، فى حين قال الرجل ، موجّهًا حديثه إلى (ممدوح) :

- ألق سلاحك على الأرض ، وإلا فصلت رأسها عن جسدها .

أطاع (ممدوح) الأمر ، متظاهرًا بإلقاء السلاح ، وقال له الرجل :

- والحقيبة أيضًا .

نزع (ممدوح) عنه الحقيبة ، فوضعها أرضًا ، وقال له الرجل :

- والآن تقدم داخل الزنزانة .

مرة أخرى أطاع (ممدوح) ما أمره به الرجل ، فدخل إلى الزنزانة ، وأشار الرجل إلى سلسلة المفاتيح فى باب الزنزانة ، قائلًا للفتاة :

- هيا أغلقى الباب خلفه .

مدت الفتاة أصابعها لتغلق باب السجن ، فغمز لها (ممدوح) غمزة قصيرة ، وبدلًا من أن تغلق الباب فتحته ، وسارع (ممدوح) يجذبها فى قوة إلى الداخل ، فى اللحظة التى كانت سكين الرجل تمزق رقبتها فيها ، وحاول الرجل أن يدفع

بسكينه مرة أخرى إلى ظهرها ، ولكن (ممدوح) أغلق باب السجن على يده فى عنف فأسقط السكين منه أرضًا ، وقبل أن يتيح له فرصة إغلاق باب الزنزانة عليه ، وجذبه من شعره إلى الداخل ، لينهال عليه بعدة لكمات سريعة قوية ، كان لها الأثر الحاسم فى إنهاء مقاومته ، وإلقائه مرة أخرى فى غيبوبة طويلة ..

ونظرت الفتاة إلى وجه (ممدوح) وقد سقط نصف شاربه الزائف ، من أثر العراك ، وقالت :

ـ ما هذا؟ إنه ليس شاربًا حقيقيًا .

قال (ممدوح) ، وهو يجذبها من ذراعها إلى الخارج :

ـ هذه قصة أخرى .. سوف أرويها لك فيما بعد .. المهم الآن أن نسارع بمغادرة هذا المكان ، قبل أن تستقر ضيوفًا لفترة طويلة داخل هذا السجن .

تناول (ممدوح) سلاحه وحقيبته مرة أخرى ، وهو يتجه نحو المصعد ، المختفى داخل المدفأة ، ليستقلاه ويصعدا إلى الغرفة العلوية ، ثم غادرا القصر وهما يركضان ، بعيدًا عن نوبات الحراسة المتحركة ، وحاول (ممدوح) أن يتقدّم صوب البحر ، وهو يستحث الفتاة على ملاحقته ، ولكنها استوقفته قائلة :

ـ انتظر .

وسألها فى ضيق :

ـ ماذا حدث ؟

نظرت إلى مجموعة من الحرّاس ، يقفون بالقرب من الشاطئ ، قائلة :

ـ لقد لمحنا أحدهم .

نظر (ممدوح) إلى الجهة التى أشارت إليها الفتاة ، فرأى أحدهم يصرخ وهو يشير لزملائه ، مرددًا بعض الكلمات غير المفهومة ، وقال لها (ممدوح) ، وهو يتناول قنبلتين يدويتين من حقيبته ، ليقدم إحداها إلى الفتاة ، قائلًا :

ـ لم يعد أمامنا الآن مجال للتراجع .

وألقى قنبلته فى اتجاه مجموعة الأشخاص ، الذين كانوا يتقدمون نحوه شاهرين السلاح ، وتبعته الفتاة بالقنبلة الأخرى ، ليحدثا خسائر كبيرة فى صفوف أعدائهما ، بعد انفجار القنبلتين ، فى حين تقدّم (ممدوح) والفتاة خلفه ، ليفتح نيران رشاشه ، على من تبقى منهم ، وحاول اعتراض طريقه ، وكله إصرار على مواصلة طريقه والهرب من القصر ..

ومن الموت ..

* * *

١٢ ـ حصار الخطر ..

قدم (ممدوح) ملابس الغوص التى كان يرتديها ، والتى وضعها بين الشجيرات الصغيرة المطلة على البحر ، للفتاة ، لتساعدها على السباحة تحت سطح الماء ، فى حين اعتمد هو على مهارته فى السباحة ، وعلى رئتيه القويتين ، فى الغطس من آن لآخر تحت السطح ، دون أن يعبأ بأسماك الانذار الخداعية .

فقد انكشف أمره ، وأصبح المكان حوله يدوى بصفارات الانذار ، فى حين سلطت أضواء الكشافات الضوئية فوق صفحة المياه ، لتنطلق فى أثرها طلقات الرصاص ، فى محاولة لاصطياد (ممدوح) والفتاة ..

واعتمد (ممدوح) على حظه ، وتصميمه على المخاطرة ، إذ كان يصعد برأسه فوق السطح لثانية ، لاستنشاق الهواء ، ثم يعود فيغطس مرة أخرى ، وطلقات الرصاص تطارده ، فى حين كانت الفتاة بمأمن لسباحتها فى الأعماق .

وما ان ابتعد عن دائرة الخطر ، حتى واصل سباحته بقوة وإصرار ، أملا فى الوصول إلى الجهة الأخرى من الشاطىء ، قبل أن تبدأ المطاردة الحقيقية .

فالأمر لن ينتهى عند هذا الحد بالطبع ، ولابد أن المخابرات الأسترتانية بأسرها ستسعى خلفه ، وينقبون عليه فى كل مكان ، وإذا كان هروبه من القصر ، فى ظل كل تلك الاحتياطات الأمنية العتيدة ، يعد أشبه بالمعجزة ، فسيكون بحاجة إلى المزيد من الجهد والحظ ، لمغادرة (أسترتان) ، وتحقيق معجزة أخرى .

ومع ذلك كان سعيدا بمساعدته للفتاة على الهرب ، لا لأنها قدمت له يد المساعدة ، من أجل تصوير أوراق الملف السرى ، ولا لأنه وعدها بمساعدتها على الهرب ، وتمكن من الوفاء بوعده ، ولكن لأن هروب الفتاة معه سيوحى للمخابرات الأسترتانية بأنه كان الهدف الأصلى ، من تسلله للقصر ، أو مركز التدريب المخصص للعملاء الأجانب ، وسيساعد ذلك على وجود الملف السرى فى مكانه بالخزانة ، وتلافيه لأية آثار ، تدل على اقتحامه الحجرة ، التى يوجد بها الملف ، وهو ما سيساعد بلا شك ، على إخفاء حقيقة هدفه ، وتوجيه ضربة مفاجئة وحاسمة ، للعملاء التابعين لشبكة التجسس الأوربية ، أو على الأقل كشفهم للمخابرات المصرية .

هذا إذا لم تكن الفتاة قد أخبرتهم بشىء عن حقيقة مهمته ، إثر سجنها وتعرضها لبعض التعذيب ، فكل ما يمكن أن يقدروه ، هو أنه جاء للتجسس على مركز التدريب ، التابع للمخابرات الأسترتانية ، وأنه ساعد الفتاة على الهرب ، من

أجل تحقيق هذا الهدف ، ذلك إذا ما قدّر له الهرب ، وهى فى صحبته ، قبل أن يضعوا أيديهم عليهما ..

ووصلا إلى الضفة الأخرى من الشاطئ ، وسبقته الفتاة ، ثم تبعها هو .

واستقل الاثنان السيارة ، التى قادتها الفتاة على الفور بأقصى سرعة ممكنة ، فى محاولة للابتعاد عن المكان ، فى حين انشغل (ممدوح) فى تبديل ثيابه المبتلة بأخرى جافة ، كان قد أحضرها معه فى السيارة ، وسألها بعد أن انتهى من تبديل ثيابه .

- لماذا قبضوا عليك ، وأودعوك تلك الزنزانة ؟

قالت الفتاة ، وهى تنظر إلى الطريق أمامها :

- لقد أحسوا بى ، عند انتهائى من وضع الجهاز الذى أعطيته لى ، فى الغرفة التى بها الخزانة .

وكان من المفروض ألا أغادر غرفتى ، فى فترة النوم المحدودة ، حسب التعليمات الخاصة بمركز التدريب .

ممدوح :

- هل يعنى هذا أنهم كشفوا حقيقة العمل ، الذى تقومين به ؟

هزت الفتاة رأسها نفيًا ، وهى تقول :

- كلا .. فقد قبضوا علىّ فى أثناء وجودى فى القاعة السفلية ، وتعللت بأننى أصبت بأرق فى أثناء الليل ، فحاولت التجول فى أرجاء القصر قليلا ، ولكن هذا لم يقنعهم بالطبع ، وأصبحت موضع شكوكهم ، خاصة وأننى كنت كذلك بالنسبة لهم من قبل .

ومن ثم فقد قاموا بسجنى ، وحاولوا إجبارى على الاعتراف بالحقيقة ، ولكننى تمسكت بما أخبرتهم به من قبل .

ممدوح :

- ولماذا لم تعترفى بالحقيقة ؟

ردت عليه قائلة :

- لأننى كنت مصرة على الإنتقام منهم .. ولأننى كنت واثقة أنك ستحضر ، وستنجح فى إنقاذى من هذا السجن .

ابتسم (ممدوح) قائلا :

- وما الذى جعلك واثقة على هذا النحو ؟

ابتسمت وهى تلتفت إليه ، قائلة :

- لاأدرى ، ولكن شيئًا ما فى شخصيتك يبعث على الثقة ، وهذا عنصر آخر ، دفعنى إلى المخاطرة بمساعدتك .

وصمتت قليلا ، ثم رنت إليه قائلة :

- والآن .. ألن تخبرنى من أنت ؟

أمرها بإيقاف السيارة أوّلا ، ثم نظر إليها قائلا :

- (ممدوح عبدالوهاب) من إدارة العمليات الخاصة المصرية .

سيمون :

- تقصد أنك عميل مصرى .

ممدوح :

- نعم .. والآن دعينا نغادر هذه السيارة فورًا ، ونبحث

عن وسيلة أخرى للهرب ، فأغلب الظن أن عمليات البحث قد بدأت بالنسبة لنا . فى هذه البلدة .

نظرت الفتاة أمامها . عند نهاية الطريق ، وهم تتمتم قائلة :

- بدأ بأسرع مما تتصور .

نظر (ممدوح) إلى الاتجاه الذى نظرت إليه الفتاة ، ليرى رتلا من سيارات الجيب العسكرية ، قادمة فى الاتجاه المضاد ، وقد اعتلى إحداها ضابط برتبة كبيرة ، وهو يضع على عينيه منظارا مقربا ، ينظر به تجاههما .

فابتسم (ممدوح) بسخرية ، على الرغم من صعوبة الموقف ، وقال :

- يبدو أن الجيش الأسترتانى يستعد للقتال معنا .

قالت الفتاة ، وهى تحاول أن تستمد منه الهدوء .

- هذا يتناسب مع الضجة التى أحدثتها فى القصر .. طلقات رصاص وقنابل يدوية .

أمرها (ممدوح) أن تعود بسيارتها إلى الوراء ، فأطاعته الفتاة فى الحال ، وتراجعت بسيارتها إلى الخلف ، لتصلح من وضع مقدمتها ، ثم انطلقت بها من حيث أتت .

وفى الحال انطلقت عدة رصاصات من سيارات الجيب فى اتجاههما ، وسمع (ممدوح) صوتا يأتى عبر مكبر للصوت ، وهو يأمرهما بالاستسلام ، ولكنه طلب من الفتاة مواصلة طريقها .

وتابعت الفتاة انطلاقها بالسيارة ، تطاردها سيارات الجيب ورصاصات راكبيها ، وأصابت إحدى هذه الرصاصات خزان الوقود فبدأ ، يشتعل .

وعلى الفور أوقف (ممدوح) السيارة ، ثم فتح بابها ، وهو يجذب الفتاة إلى الخارج من ذراعها ، منطلقا بعيدًا عن السيارة ، وقد حمل معه حقيبته الجلدية فى اليد الأخرى ، وصرخ فيها قائلا :

- اركضى بأقصى سرعة .

ثم دفع بها لترقد على الأرض ، فى اللحظة التى دوى فيها صوت انفجار السيارة .

نظرت الفتاة إلى السيارة المشتعلة فى ذعر ، وهى لاتصدق أنها نجت من هذا المصير المروع ، وساعدها (ممدوح) على النهوض ، قائلا :

- هيا نواصل الركض ، بعيدًا عن هذا المكان ، قبل أن يلحقوا بنا .

أطاعته الفتاة على الفور ، وقد زاد خوفها من سرعتها فى الركض وراء (ممدوح) ، الذى لجأ إلى إحدى الطرق الفرعية ، محاولا تفادى ملاحقة سيارات الجيب له .

لكن الفتاة أشارت له بالتوقف مرة أخرى ، وهى تلهث من شدة التعب ، وقال لها (ممدوح) ، وهو يستحثها على الجرى :

- لماذا توقفت ؟.. يجب أن تقاومى شعورك بالتعب ، فهم يلاحقوننا ..

ولكن الفتاة وضعت يدها على صدرها ، محاولة التقاط أنفاسها ، وأشارت له باليد الأخرى نحو ثلاث من سيارات المرسيدس السوداء ، التى كانت قادمة من الاتجاه الآخر ، قائلة :

- هذه السيارات أعرفها جيدًا .. إنها تابعة للمخابرات الأسترتاتية ، وقد أرسلت لتتعقبنا أيضًا .

لمح (ممدوح) إحداها وقد توقفت فى نهاية الشارع ، وغادرها أربعة أشخاص ، اثنان منهم مسلحان بالأسلحة الآلية ، فى حين وضع الآخران المناظير المقرّبة على أعينهما ، وهما ينظران حولهما فى كل الاتجاهات ، فى حين واصلت السيارتان الأخريان طريقهما فى اتجاهين مختلفين ، وجذب (ممدوح) الفتاة من ساعدها ، ليلصق الاثنان ظهرهما إلى جدار أحد المبانى ، فى محاولة لتجنب العدسات المقرّبة ، ومن الجهة الأخرى كانت السيارات الجيب مازالت تواصل طريقها ، قادمة فى اتجاههم .

وكان اليأس باديًا على الفتاة ، وهى تهمس قائلة :

- ماذا نفعل ؟ .. لقد أطبقوا علينا من الجهتين .

وحرّك (ممدوح) رأسه قليلاً ، بعيدًا عن الجدار ، ليلمح المسلحين يتقدمان بخطوات متأنية ، نحو المبنى الذى يختفيان فيه .. لم يكونا قد كشفا موقعهما بعد ، ولكنهما سيكشفانه

حتمًا .. إذا ما واصلا التقدم ، خاصة وأنه لايوجد أمامهما ملجأ آخر يلجآن إليه ..

لقد أصبح (ممدوح) ورفيقته بالفعل بين شقى الرحى ، يستعدان لاستقبال الخطر ..

والموت القادم ..

* * *



١٣ ـ لحظات الخطر..

انتظر (ممدوح) حتى اقترب الشخص الأول حاملًا مسدسه ، فجذبه نحوه سريعًا ، واضعًا يده على فمه ، وقد أطبق باليد الأخرى على رسغ الرجل كالطوق الحديدى ، جاعلًا فوهة المسدس موجهة إلى الأرض ، وضرب يد الرجل بقوة فى جدار المبنى ، الذى يحتمى به ، ضربات موجهة ، سقط على إثرها المسدس أرضًا ، فأشار للفتاة بالتقاطه ، وبالفعل أسرعت (سيمون) تتناوله ، فى اللحظة التى كان فيها عميل المخابرات الآخر قد اقترب من المكان ، الذى يدور فيه هذا الصراع ، وما أن رأى زميله على هذا النحو ، حتى سارع بتصويب مسدسه فى اتجاه (ممدوح) ، ولكن الفتاة كانت أسرع منه ، وبادرت بإطلاق رصاصة محكمة ، استقرت فى صدر الرجل ، وجعلته يخر صريعًا فى الحال .

وحمد (ممدوح) ربه ؛ لأن المسدس كان مزوّدًا بكاتم للصوت ، ولأن الطلقة المكتومة ، التى أطلقتها الفتاة ، قد حجبها هدير محركات سيارات الجيب ، القادمة فى اتجاههما ، وأصبح من المتعين عليه أن يتخلص من خصمه الآخر سريعًا ، فدفع وجهه إلى جدار المبنى بقوة ، ترنح على أثرها الرجل ، ثم أداره فى مواجهته ، ليجهز عليه بلكمة كالمطرقة ، أفقدته

الوعى فى الحال ، وتناول المسدس الذى سقط من الشخص الآخر ، وهو يستحث الفتاة على الركض معه ..

وكانت إحدى سيارات الجيب قد اقتربت ، ولمح أحد راكبيها (ممدوح) والفتاة ، فسارع بتصويب رصاصة من بندقيته الآلية نحوهما ، ومرّت الرصاصة فوق رأس (ممدوح) ، الذى استدار سريعًا ، ليطلق رصاصة من مسدسه على سائق السيارة ، فأرداه قتيلًا فى الحال ، وقد اختلت عجلة القيادة منه ، فاصطدمت السيارة بأحد جدران المبانى ، وانقلبت على الأرض براكبيها ، فى حين تابع (ممدوح) والفتاة ركضهما ، ليجتازا عددًا من المبانى المتهدّمة ، وتوقف (ممدوح) أمام منزل قديم ، دفع بابه الحديدى أمامه ، فانفتح بصعوبة ، وقال (ممدوح) :

ـ سيكون هذا ملجأنا مؤقتًا .

نظرت الفتاة إليه قائلة :

ـ ولكنهم سيكشفون مكاننا سريعًا .

قال (ممدوح) ، وهو يساعدها على الدخول ، مغلقًا باب المنزل خلفهما :

ـ هل لديك اقتراح أفضل ؟

ثم استطرد ، وهو يصحبها إلى الداخل :

ـ على كل ، لو سارت الأمور على ما يرام ، فسوف يكون هذا المكان وسيلتنا الحقيقية للهرب .

سألته الفتاة ، وهى تجتاز معه ممرًا قصيرا ، لتصعد بعده فوق عدة درجات رخامية متهدّمة :

- كيف ؟

استخدم مفتاحًا معه ، فى فتح الباب الخشبى من الداخل ، قائلًا :

- هذا المنزل القديم يمتلكه أحد أصدقائى فى (أسترتان) ، فقد حدد لى مكانه ، وقدم لى مفتاحه ، للجوء إليه فى حالة الخطر ، كما أن به مخبأً سريًا بالداخل أيضًا ، من الممكن أن يساعدنا وقت الأزمات .

كان المنزل من الداخل مكونًا من حجرتين ، وردهة صغيرة ، وكان متبقيًا به بعض الأثاث القديم المتهالك ، وصندوق خشبى كبير ، تعلوه الأتربة ، يحتل ركنًا من أركان حجرة ، ذات سقف متداع ، ولم يكن بالمنزل كهرباء ، ولاتوصيلات للمياه ، فاعتمد (ممدوح) على مصباحه الضوئى الصغير لتبين المكان ، وتهالكت الفتاة ، وقد أدركها تعب شديد ، فألقت نفسها فوق الفراش القديم ، الذى تعلوه الأتربة ، وراحت فى سبات عميق ، دون أن تهتم بأى شىء آخر ، مما يدور حولها ، فى حين تمدّد (ممدوح) على الأرض ، وقد فضل الاحتفاظ بعينيه متيقظتين ، وبالمسدس فى يده تحسبًا لأى خطر قد يتعرض له على الرغم من أنه كان فى شدة التعب والإرهاق بدوره ..

ولم يقو (ممدوح) على مقاومة سلطان النوم لفترة طويلة ، وسرعان ماثقل جفناه وتراخت أصابعه حول المسدس ، ليروح فى ثبات عميق أيضا ..

ومرّت نصف الساعة ، وهو مستغرق فى النوم على هذا النحو ، ولكنه هب من نومه فجأة منتفضًا ، إثر إحساسه بشىء يلامس ساعده ، وأطبقت يده على الزناد ، وهو يدفع هذا الشىء بعيدًا عنه ، مصوِّبة إحدى طلقات المسدس فى اتجاهه ، ثم أضاء مصباحه الضوئى الصغير ، فى اتجاه الرصاصة التى صوَّبها ، ليكتشف أن هذا الشىء ليس سوى مجموعة من الفئران الصغيرة ، قفز أحدها إلى ذراعه ، فأطلق زفرة قصيرة ، ثم نظر فى اتجاه الفتاة التى لم تفلح الرصاصة المكتومة فى إيقاظها ، وفرك جفنيه ، ثم نهض مؤثرًا الوقوف والحركة ، بدلًا من الرقود ، حتى لايغلبه النوم مرة أخرى ، وأخذ يتنقل فى أرجاء المنزل المتداعى ، حيث قادته قدماه إلى سطحه ، وفجأة سمع وقع أقدام ، فأطل برأسه إلى أسفل ، ليرى خمسة أشخاص ، بعضهم يرتدى الملابس المدنية ، والبعض الآخر يرتدى الثياب العسكرية ، وهم يدفعون الباب الحديدى الخارجى للمنزل ، مقتحمين المكان .

وأسرع (ممدوح) بالهبوط على الفور ، ليدخل إلى المنزل عن طريق إحدى النوافذ الخلفية ، فى حين كان الرجال الخمسة يعملون على تحطيم الباب الخشبى للمنزل ، فى محاولة منهم لاقتحامه من الداخل .

واندفع (ممدوح) يفتح باب الحجرة ، التى ترك فيها الفتاة نائمة ، فوجدها وقد هبت مذعورة ، وقد أمسكت المسدس ، تصوبه فى اتجاه الباب إثر سماعها لصوت أولئك الرجال ، وهم يحاولون تحطيم باب المنزل ، وهتف بها (ممدوح) مطمئنا ، وهو يدعوها إلى تتبعه ، ثم اتجه بها إلى غرفة أخرى ، حيث يوجد الصندوق الخشبى ، القائم فى أحد أركان الحجرة ، فرفع غطاءه ، وأزاح عنه أكوام الثياب القديمة ، حتى كشف قاعدته .

وسألته الفتاة ، وهى تستمع إلى صوت تحطيم الباب ، وتتلفت حولها فى قلق ، وأصابعها متوترة حول زناد المسدس الذى تمسكه :

- ماذا تفعل ؟

أجابها (ممدوح) قائلا :

- ستعرفين حالا .

وضع (ممدوح) أظفاره بين حافة القاعدة الخشبية وجدار الصندوق ، ليرفعها إلى أعلى بصعوبة ، والتفت إلى الفتاة ، قائلا :

- هيا .. انزلى هنا .

نظرت الفتاة إليه ، وإلى الفجوة التى كشف عنها رفع قاعدة الصندوق الخشبى ، قائلة بدهشة :

- ما هذا ؟

قال (ممدوح) ، وهو يتناول ذراعها ، ليساعدها على الهبوط فى سرعة :

- ألم أقل لك : إن هذا المنزل يحتوى على مخبأ سرى ؟.. هناك قبو سرى أسفل هذا الصندوق .

هبطت الفتاة إلى القبو السرى ، وهى تثب وثبة صغيرة ، عبر الفجوة التى ظهرت إثر رفع القاعدة الخشبية للصندوق ، وتبعها (ممدوح) فى الوثوب ، داخل الفجوة ، بعد أن أغلق غطاء الصندوق والقاعدة الخلفية ، وكومة الثياب القديمة فوقهما ، حدث ذلك فى اللحظة التى نجح فيها الأشخاص الخمسة فى اقتحام المنزل بالفعل ، وأخذوا يتنقلون فى أرجائه بحثا عنهما ..

وجلس (ممدوح) القرفصاء إلى جوار الفتاة ، وبالقدر الذى يسمح به المكان ، وقد قبض على مسدسه بدوره ، وهو يرهف السمع ، وساد الصمت برهة ، ثم ما لبث أن سمع باب الحجرة وهو يُفتح ، ووقع الأقدام تتحرك فوق رأسيهما ، ودعا الله ألا يلفت الصندوق الخشبى انتباههم ، لكن أحدهم نظر إلى الصندوق ، قائلا لأحد رفاقه ، ممن يرتدون الثياب العسكرية :

- افتح هذا الصندوق .

نفذ الرجل ما أمره به رئيسه ، ففتح باب الصندوق ، والتف ثلاثة منهم حوله ، وأخذوا يقلبون كومة الثياب القديمة بداخله ، فى حين توترت أصابع (ممدوح) حول زناد



هبطت الفتاة إلى القبو السرى ، وهى تثب وثبة صغيرة ،
عبر الفجوة التى ظهرت إثر رفع القاعدة الخشبية للصندوق ..

المسدس ، وهو يستعد لمواجهة حتمية ، أما الفتاة فقد تلاحقت أنفاسها ، وهى تهمس قائلة :

ـ لقد وضعوا أيديهم علينا .

ولكن (ممدوح) سارع بوضع يده على شفتيها برفق ، يمنعها من الكلام ، وهو يرهف السمع ، ناظرًا إلى أعلى ، حتى سمع صوت أحدهم يقول :

ـ ماذا تفعلون ؟ لاشىء فى ذلك الصندوق ، سوى تلك الثياب القديمة المهلهلة .

وأغلق أحدهم غطاء الصندوق ، وهو ينفض عن يده التراب ، فى حين قال شخص آخر :

ـ لاأثر لهم ، فى هذا المنزل أيضًا .

ورد آخر قائلًا :

ـ فلنواصل البحث فى المنازل المجاورة ، فهم لم يغادروا هذه المنطقة ، ولن ندعهم يغادرونها بأى حال من الأحوال .

وتنفس (ممدوح) والفتاة الصعداء ، وهم ينصتون إلى وقع الأقدام ، وهى تتحرك فوق رءوسهم مرة أخرى ، مغادرة الحجرة ، وانتظرا قليلًا ، ثم غادرا مخبأهما السرى ، ليرفعا غطاء الصندوق الخشبى الكبير وهما يقفزان فوق أرضية الحجرة .

ومرة أخرى تنفسا الصعداء .

★ ★ ★

١٤ ـ الساعات الأخيرة..

سألته الفتاة قائلة :

ـ والآن ما الخطوة التالية ؟

قال (ممدوح) ، وهو يلقى نظرة من وراء الستار المدلى على النافذة إلى الخارج .

ـ لست أدرى .. يتعين علينا أن نصل إلى البلدة المجاورة أولا ، للحاق بصديقنا هناك ، فهو وحده الذى يستطيع أن يدبر أمر هروبنا من (أسترتان) الآن ، ولكن كيف يتسنى لنا ذلك ، وهناك عشرات من الرجال يجوبون المنطقة بحثًا عنا ؟..

أعتقد أنه من الأفضل أن ننتظر ، حتى تهدأ حدة عمليات البحث عنا فى هذه المنطقة ..

ربما ينسوا من العثور علينا ، ويبدءوا فى البحث فى مناطق أخرى ، عندئذ قد تتاح لنا الفرصة ، لمغادرة هذا المنزل تحت جنح الليل ، علنا نجد وسيلة للهروب من هذه البلدة ، واللجوء إلى البلدة المجاورة .

ثم نظر إليها قائلا ، وهو يشفق عليها من مظاهر التعب ، التى بدت واضحة على وجهها :

ـ عودى إلى النوم ، فأنت بحاجة إلى الراحة ، ويمكنك أن تطمئنى ؛ فسأبقى ساهرًا لتولى حمايتك ، ومراقبة الأمور .

وقالت الفتاة فى خوف :

ـ هل تعتقد أنهم سيعاودون البحث عنا ، فى هذا المنزل ؟

أجابها ، وهو يحاول أن يبث الطمأنينة فى نفسها :

ـ هذا أمر غير مستبعد ، ولكن لاتنسى أن لنا مخبأنا السرى .

ثم ربت على كتفها قائلا :

ـ اطمئنى .. ستكون الأمور على مايرام فى النهاية .

ولكنه هو نفسه لم يكن واثقا من أن الأمور ستكون على مايرام ، وسط هذه الظروف ، بأى حال من الأحوال ، إلا أنه راقبها وهى تعود إلى الفراش ، فتلقى عليه جسدها المنهك ، فى حين استمر هو يراقب الموقف من وراء الستارة المدلاة ، ويده لاتفارق مسدسه ..

ومرت عدة ساعات و (ممدوح) واقف فى مكانه ، وقد قارب الفجر على البزوغ ..

كانت الليلة باردة للغاية ، وأحس بأن أطرافه تكاد أن تتجمد من شدة البرد .

فتوجه نحو الفتاة النائمة ، ليتيقن من إحكام الغطاء فوقها ، ثم اتجه إلى الغرفة التى تحتوى الصندوق الخشبى ، علّه يعثر بين كومة الثياب القديمة على معطف أو سترة صوفية ، أو ماشابه ذلك ، ليقى به نفسه قسوة البرد ، ولكن وبينما هو مستغرق فى البحث ، عن شىء يقيه شدة البرد ، بين طيات الثياب الموجودة داخل الصندوق ، إذا بباب الحجرة يفتح خلفه فجأة ، وسمع صوتا آمرا يقول :

- قف مكانك دون حراك .

وقبل أن يفكر (ممدوح) فى تناول المسدّس ، الذى وضعه فى جيبه ، فى أثناء تفتيشه للملابس ، عاد الصوت يأمره قائلا :

- دعنى أر يديك عاليتين .

أطاع (ممدوح) الأمر ، ولكنه أحس أن هذا الصوت ليس غريبًا عنه ، وأنه سبق أن سمعه من قبل ، ثم وجد يدًا توضع على كتفه ، لتديره إلى الخلف ، وصاحب الصوت يقول :

- اطمئن ياصديقى إنه أنا (خارديس) .

نظر إليه (ممدوح) غير مصدق ، وقد تراخت ذراعاه إلى جواره ، وهو يطلق زفرة قصيرة حارة ، لتلك المفاجأة التى أحدثها الرجل .

وضحك (خارديس) قائلًا :

- هل أخفتك ؟

قال (ممدوح) مندهشا :

- كيف وصلت إلى هنا ؟

ابتسم (خارديس) قائلًا :

- لى وسائلى الخاصة .. ثم هل نسيت أن هذا منزلى ، وأستطيع أن آتى إليه فى أى وقت ، حتى لو كان قديمًا متهالكًا على هذا النحو ؟

ممدوح :

- أعنى كيف تمكنت من دخول المنزل ، دون أن أراك أو أحس بك ؟

خارديس :

- جئت من باب خلفى ، بينما كنت أنت تراقب مدخل المنزل .

ممدوح :

- وكيف عرفت أننى هنا ؟

خارديس :

- هذا أمر طبيعى .. فنبأ تسللك إلى القصر وهروبك منه بصحبة الفرنسية أصبح شائعًا ، بين أوساط المخابرات الاسترتانية ، وكما توقعت فإنك توجهت إلى منزلى القديم إثر هروبك ، كما اتفقت معك من قبل .

ولكن الأهم من ذلك هو أن هذا الأمر قد أثار قلق الاسترتانيين ، على نحو كبير ، ودفعهم إلى إطلاق جنودهم ورجال مخابراتهم ، فى أرجاء البلدة ، بحثًا عنك وعن صديقتك ، بحيث أصبحت البلدة شبه محاصرة ، وهذا يعنى أنك تواجه مأزقًا حقيقيًا ، وصعوبة بالغة فى مغادرتها .

ممدوح :

- هل علموا بأمر الملف السرى ؟

خارديس :

- لا يبدو ذلك حتى الآن . لقد حضرت بنفسى ، مع السيارة المخصصة لتوريد الأطعمة ، إلى مركز التدريب ، كما هى عادتى منذ قدومك إلى (أسترتان) ، للاطمئنان عليك ، وجمع معلومات بشأن عمليتك ، ثم تقديم المساعدة فى حالة تأزم الأمور .

وعندما علمت بما حدث ، وبأنهم لم يضعوا أيديهم عليك بعد ، ضمنت أنك لابد قد جئت إلى هنا ، فحضرت إلى المنزل على الفور ، ولم يشكل ذلك بالنسبة لى أية صعوبة ، على الرغم من الرجال المنتشرين بالخارج بحثًا عنك ، فأنا معروف بالنسبة لهم ، كما يعلمون أن هذا منزلى ، فضلا عن أننى لم أنس توجيه اللوم الشديد لهم لاقتحامهم منزلى على هذا النحو ، دون استئذانى ، كما فعلوا منذ عدة ساعات .

ممدوح :

- المهم الآن كيف سنغادر هذا المكـــان ، فى ظل تلك الظروف ؟

خارديس :

- لقد دبرت ذلك ... ستغادرونه بصحبتى بالطبع .

ممدوح :

- بصحبتك .. كيف ؟

خارديس :

- فى سيارة المأكولات ، التى تركتها أمام الباب الخلفى .

ممدوح :

- لكن ...

ولكن (خارديس) لم ينتظر حتى ينتهى (ممدوح) من كلامه ، بل تحرّك نحو باب الغرفة ، ليتناول حقيبة أحضرها معه ، كان قد تركها لدى الباب ، وقدمها إلى (ممدوح) قائلًا :

- خذ هذه .. إن بها بعض الملابس ، الخاصة بعمال الخدمة فى مطعم (خارديس) .. لقد حضر اثنان منهما معى فى السيارة ، لتقديم الأطعمة المطلوبة إلى المشرفين على مركز التدريب ، ولكننى صرفتهما على إثر الانتهاء من عملهما ، وطلبت منهما العودة إلى المطعم بوسيلة مواصلات أخرى ، وبذلك ستعودان معى على أنكما عاملان من عمال مطعم (خارديس) .

ويوجد فى الحقيبة أيضا بعض وسائل التنكر ، التى ستتيح لك تغيير ملامحك الزائفة كبحار ، لتصبح أحد عمالى ، كما أن ما بها يكفى لكى يحول رفيقتك إلى هيئة رجل ، هذا إذا كنت تريد أن تصحبها معك .

أجابه (ممدوح) على الفور .

- نعم .

خارديس :

- حسن .. أسرعا بارتداء الملابس ، واستعمال أدوات التنكر ، ثم اصعدا إلى الصندوق الخلفى لسيارة المأكولات ، بذلك يمكننا ، بالإضافة إلى علاقاتى الشخصية ، أن نغادر البلدة ، دون أن نثير شكوكهم ، حتى لو اقتضى الأمر تفتيش السيارة ، وفحص ما يحويه صندوقها الخلفى .

أيقظ (ممدوح) الفتاة ، ليستبدلا ثيابهما سريعًا ، ويقوما باستخدام أدوات التنكر ، التى غيرت من هيئتهما تمامًا ، ثم

اندفعا لمغادرة المنزل فى هدوء ، ليثبا إلى الصندوق الخلفى للسيارة وأغلق (خارديس) أبوابه عليهما ، وذلك قبل بزوغ الفجر بثلاث دقائق فقط ، فى حين احتل هو مكانه ، أمام عجلة القيادة ، وانطلق بالسيارة بعيدًا عن المكان ..

ونجحت المحاولة .. إذ تمكّن (خارديس) من مغادرة البلدة بسيارته دون أن يلفت إليه الأنظار ، و (ممدوح) والفتاة بداخلها ، حتى وصلت السيارة إلى المطعم ، حيث تسلل منها (ممدوح) والفتاة إلى الباب الخلفى ، وصحبهما (خارديس) إلى غرفة مغلقة ، قائلًا :

ـ عليكما بالانتظار هنا .. لا أريد أن يشعر بكما أحد من العاملين .

وأمسك (ممدوح) ذراعه ، قبل أن يغادر الغرفة ، قائلًا :

ـ وماذا بعد ؟

سأله (خارديس) قائلًا :

ـ وماذا تعنى بماذا بعد ؟

ممدوح :

ـ كيف سيمكننا مغادرة (أسترتان) ؟

ابتسم (خارديس) وهو يفتح أحد أدراج مكتب صغير ، قائم فى ركن من الغرفة ، ليستخرج منه جوازى سفر ، قائلًا :

ـ بهذين الجوازين .. لدى خبير فى تزييف جوازات السفر ، وسوف يجرى اللازم ، لتجهيز هذين الجوازين ، بحيث يصبحان صالحين لكما ، لمغادرة (أسترتان) .

ممدوح :

ـ إننى أفضل الهرب عن طريق الحدود ، فالمطارات لن تكون مأمونة ، بأى حال من الأحوال ، فى ظل تلك الظروف ، مهما كانت براعة الشخص الذى سيتولى إعداد جوازى السفر .

ابتسم (خارديس) قائلًا :

ـ هذا إذا كنت ستسافر أنت والفتاة وحدكما ، وليس بصحبة شخص مهم ، وله علاقاته مثلى .

قال (ممدوح) بدهشة :

ـ هل تعنى بذلك أنك ستسافر معنا ؟

قال (خارديس) ، وقد اتسعت ابتسامته :

ـ نعم .. من حسن حظك أنك أتممت مهمتك ، قبل أن تبدأ إجازتى السنوية ، التى أقضيها دائمًا فى (اليونان) بيومين فقط .

لذا سيكون أمرًا عاديًا أن أسافر إلى بلادى الأصلية ، كما اعتدت دائمًا ، فى مثل هذا الوقت من العام .

وسيكون عاديًا أيضًا أن أصطحب معى اثنين من أصدقائى ، وأبناء بلدتى فى أثناء السفر ، مما يبعد الشكوك تمامًا عنكما ، ويساعد على إتاحة الفرصة لكما لمغادرة البلاد .

ممدوح :

ـ اذن فسنذهب إلى (اليونان) .

خارديس :

ـ نعم .. هذا هو الأكثر أمنًا بالنسبة لكما الآن ، ومن هناك يمكنك أن تعود إلى (القاهرة) ، ويمكن للفتاة أن تعود إلى (فرنسا) .

قال (ممدوح) ، وهو يشعر تجاهه بامتنان حقيقى :

ـ ألن يشكل هذا الأمر بالنسبة لك أية خطورة ، خاصة إذا كشف الأسترتانيون حقيقة هروبنا إلى الخارج ، وأنك أسهمت فى تحقيق ذلك ؟

خارديس :

ـ بالطبع أنهم سيكتشفون حقيقة الأمر فى النهاية ، وسيعرفون أننى كنت أعمل لحساب المخابرات المصرية ، ولكن هذا سيكون بعد فوات الأوان .

إذ إننى لن أعود مرة أخرى إلى (أسترتان) .. لقد صدرت لى الأوامر بمغادرتها نهائيًا ، والتخلى عن مطعم (خارديس) فى شارع (اليسكارين) إلى الأبد .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ سيكون هذا خسارة فادحة بالنسبة لك .

خارديس :

ـ ليس على النحو الذى تتصوره ، فسوف أستبدل بالمطعم فندقًا صغيرًا ، ولكنه يدر دخلًا طيبًا طوال العام ، فى أحد المواقع الهامة فى (مصر) .

حدق (ممدوح) فيه بدهشة ، قائلًا :

ـ فى (مصر) ؟!

خارديس :

ـ نعم .. إنها هدية المخابرات المصرية ، مكافأة لى على عملى لحسابهم ، طوال السنوات الماضية ..

لقد قررت أن أعتزل ، وأعيش بقية عمرى فى هدوء ، ولن يتاح لى ذلك ، إذا مابقيت فى (اليونان) ، فالمخابرات الأسترتانية ستتعقبنى هناك ، لتوقع بى العقاب المناسب .

لذا فوجودى فى (مصر) سيوفر لى الأمان الكافى ، ثم لاتنس أن (مصر) هى وطنى الثانى ، كما أخبرتك من قبل .

ابتسم (ممدوح) ، وهو يربّت على كتف الرجل ، قائلًا :

ـ (مصر) يسعدها أن يكون على أرضها شخص مثلك ، أيها الصديق العزيز ..

* * *

حلقت الطائرة الأسترتانية ، وعلى متنها (ممدوح) ورفيقاه ، دون مشاكل تذكر ، مغادرين (أسترتان) .

ومن هناك عادت الفتاة الفرنسية إلى بلادها ، فى حين استقل (ممدوح) و (خارديس) الطائرة المتجهة إلى (القاهرة) .

أحدهما يحمل أحلامه معه ، بعد عودته إلى الأرض التى عاش فوقها من قبل وأحبها .

والآخر يحمل معه هدية رائعة للمخابرات المصرية ، هى

مجموعة من الصور ، التى تكشف نشاط أخطر شبكـــات التجسّس المعادية لبلاده ..

وتخيل (خاريس) ، وهو ينظر من نافذة الطائرة ، الطريقة التى سيتبعها فى إدارة فندقه الجديد ، فى حيـــن تساءل (ممدوح) عما ستكون عليه المهمة القادمة ، التى سيسندها إليه اللواء (مراد) .

وظلّت الأحلام والتساؤلات والتخيلات تدور فى ذهنيهما ، حتى أفاقا منها على صوت مضيفة الطائرة ، وهى تعلن لهما عن دخول الطائرة إلى المجال الجوى المصرى ، وتحليقها فوق مطار (القاهرة) ، و ...

ونهاية المغامرة .



(تمت بحمد الله)

الملف السرِّى

وبقوة غير عادية ، خلفها التحدى والإصرار ، جـذب (ممدوح) المجداف نحوه ، جاذبًا معه غريمه ، ليهوى به إلى البحر ..

المؤلف



أ . شريف شوقى



٥٧

العدد القادم

ساعة الصفر

الثمن فى مصر ١٠٠ ص وما يعادله بالدولار الامريكى فى سائر الدول العربية والعالم